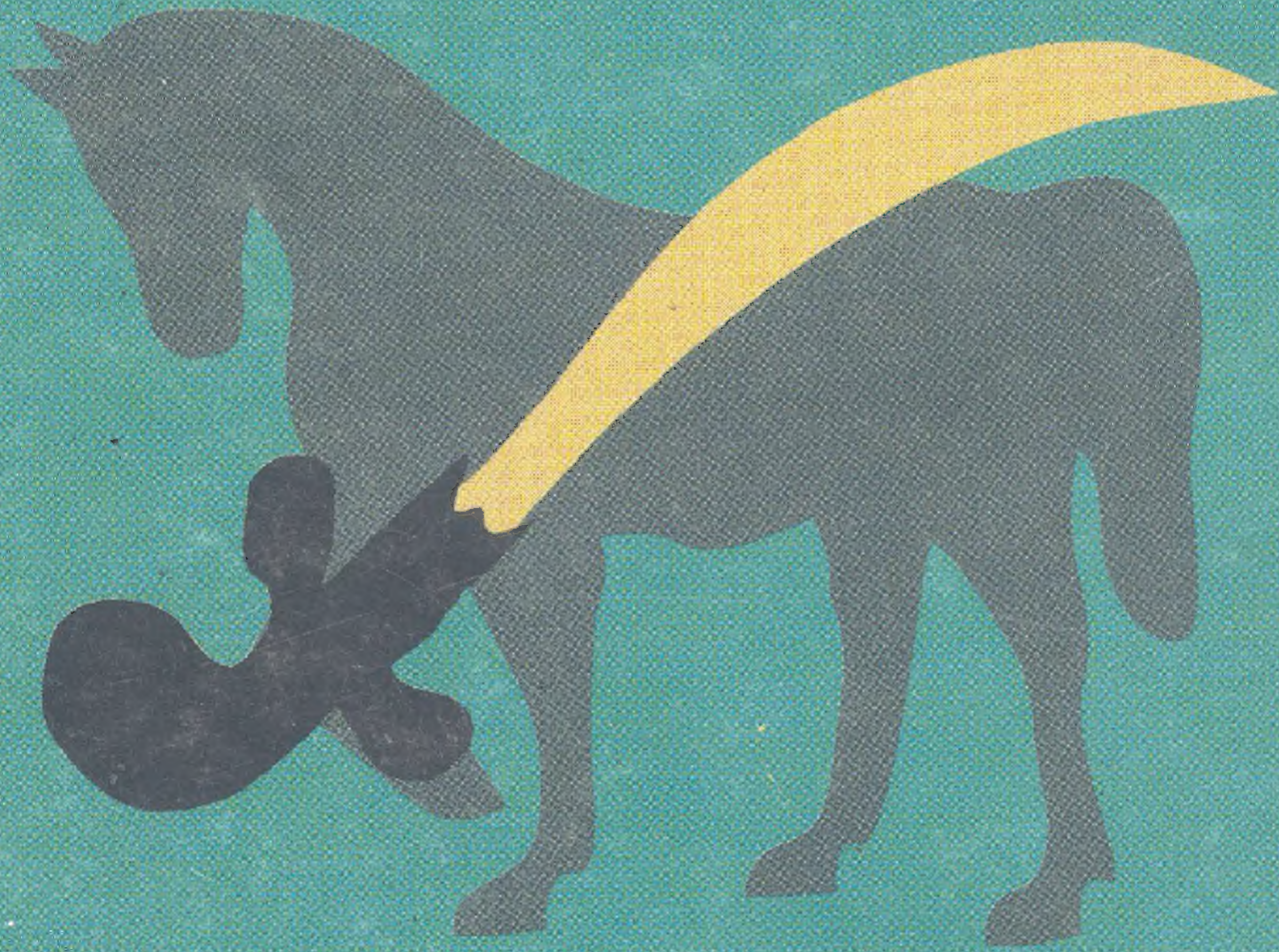




الهيئة العامة
لقصور الثقافة



الثورات الشعبية في مصر الإسلامية



تأليف: د. حسين نصار



الثورات الشعبية في مصر الإسلامية

الثورات الشعبية فى مصر الإسلامية

د. حسين نصار



المبنى العامة
للمصنوع الثقافى

سلسلة شهرية تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة



٧٠

تعنى بنشر الدراسات المتعلقة بالفولكلور
ونصوص وسير وحكايات وملاحم الأدب الشعبي



مستشارو التحرير:

د. أحمد أبو زيد

د. نبيلة إبراهيم

د. أحمد مرسى

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير

خيرى شلبي

مدير التحرير

حمدي أبو جليل

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة
بل تعبر عن رأي وتوجه المؤلف في المقام الأول

مكتبة الدراسات الشعبية

• الثورات الشعبية في مصر الإسلامية
• د. حسين نصار

• الطبعة الثانية ،
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - سبتمبر ٢٠٠٢ م

• تصميم الغلاف للفنان : محمد بغدادى

• كلام الغلاف الأخير :
من تقديم الأديب خيرى شلبي للكتاب .

• طبع من هذا الكتاب ثلاثة آلاف نسخة

• المراسلات :

باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي : ١٦ شارع أمين
سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١
ت : ٧٩٤٧٨٩١ (داخلى : ١٨٠)

• الطباعة والتنفيذ :

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦

المختوى

المختوى

المختوى

هذا الكتاب بقلم خيرى شلبي ٩

مقدمة ١٥

الباب الأول : الثورات الحمراء ١٩

الفصل الأول : ثورات العلويين ٢١

الفصل الثاني : ثورات الأمويين ٤٣

الفصل الثالث : ثورات الخوارج ٥١

الفصل الرابع : الثورات الاقتصادية ٥٩

الفصل الخامس : الثورات القبطية ٧٣

الفصل السادس : الثورات المجهولة الأسباب ٨٧

الباب الثاني : المقاومة ٩٣

الفصل الأول : الامتناع عن التعاون ٩٥

الفصل الثاني : المقاومة القبلية ١٠٥

من ثورات الشعب المصرى

تاريخ مصر الإسلامية حافل بالكثير مما
يضىء جوهر الشخصية المصرية ويلقى
الضوء على أبعادها التاريخية الثلاثة :
الفرعونية والقبطية والإسلامية.

فمصر الفرعونية هى نفسها مصر بعد
دخولها الديانة المسيحية ، ومصر المسيحية
هى نفسها بعد دخولها الإسلام ، أى الدين
الجديد - وإن أضاف إلى مصر عزوة وقوة
ومنة - لم يغير من جوهر الشخصية
المصرية صاحبة السبق الأكبر فى اكتشاف

الدين كبُعد إنسانى معبر عن شوق الإنسان إلى معرفة أبيه
الأعلى ، أصل وجوده ومانحه الحياة والنعيم .

والشخصية المصرية من عصر إخناتون - أول موحد فى
تاريخ البشرية - إلى عصر محمد بن عبد الله - صلى الله عليه
وسلم - كانت - ولا تزال طوال تاريخها - مؤثرة فيما وفيمن
حولها تأثيرا إيجابيا صافيا . وإذا كان الله - سبحانه وتعالى -
قد أعز الإسلام بمصر وفارس والأندلس فإنه قد أعز مصر
وغيرها من الأمصار بالإسلام ، فقدمت فى سبيله من
التضحيات والخيرات ما لا يمكن حصره ، ولا تزال تقدم إلى
اليوم ، كما أنها ستبقى إلى يوم الدين تعطى لأمة الإسلام ولا
تبخل فى نصره الإسلام وعزه بالولد أو بالمال .

مصر - إذن - لم تكن مجرد ولاية من الولايات الخاضعة
للإمبراطورية الإسلامية التى أنشأها الأمويون والعباسيون
والفاطيون ، إنما كانت - حتى وهى محكومة بوال يعينه أمير
المؤمنين - عاصمة قيادية مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة
تشارك بنصيب كبير فى دعم الأمة الإسلامية وفى صنع القرار
السياسى معا ، دون أن يكون هذا بمقابل ذاك وإنما الزعامة طبع
جبلت عليه مصر بحقائق التاريخ والجغرافيا ، بحكم الوعى

الحضارى الموروث وبحكم الثقافات التى يطرحتها البحر المتوسط على شأنها من ناحية ، والنيل والبحر الأحمر من ناحية أخرى .

وطوال العصور الإسلامية الأولى تم الامتزاج بين العرب والأقباط فى سلاسة تشهد بأن العلاقة بينهما قديمة ومتفاعلة... حيث كان الوجود المصرى فى جزيرة العرب حاضرا طوال التاريخ ، وأما الأقباط الذين بقوا على مسيحياتهم فإنهم كأهل كتاب وحضارة دينية سابقة على الكتب السماوية لم يحاولوا مناهضة الإسلام أو مقاومته ، بل على العكس قبلوه بصدر رحب واعتبروه تكريما للمصريين ، واحترموا عادات وتقاليد وصلوات المسلمين أيما احترام . فأما الأقباط الذين دخلوا فى الإسلام فإنهم لفرط صدقهم وإيمانهم نبغ منهم شيوخ وأئمة أصبحوا من مرجعيات ومصادر الفتحة الإسلامى ، لقد أنعش الإسلام تراثهم الثقافى المسجل على جيناتهم الوراثية فاکتشفوا الوشائج الكثيرة التى تربطهم بهذا الدين العظيم فتفانوا فى خدمة الإسلام تفانيا شهد بصدق المؤرخون ...

على أن أهم تأثير للمصريين المسلمين هو ما تركوه فى المسلمين العرب من خصائص الشخصية المصرية المرنة

المتحضرة ذات الكبرياء الواثقة من وفاء النيل ومن حركة
الفصول ، القادرة على احتواء الأجنبي وتذويبه في وجدان فنان
رقيق محب للسلام وللخضرة وللخير العميم .. إنه تأثير قام
بتمصير العرب الوافدين مع الفتح الإسلامي ، ففي أقل من ربع
قرن من الزمان بات أولئك العرب يدافعون عن مصريتهم
بحماسة وقوة ، مما أعطى لمصر تميزها في ذلك الزمان المضطرب
بالفتن والحروب ... الأقباط المسلمون ... والمسلمون العرب
التمصرون صاروا كتلة مصرية واحدة تتميز بصحة الضمير
والإلحاح في طلب العدالة وتميز أشد ما تتميز بوجود رأى عام
سياسي يناهض الظلم ويقاوم الطغيان .

وقد سجل التاريخ عدة ثورات شعبية قامت في مصر طوال
العصور الإسلامية الأولى والوسيطة ، ظهر فيها حب المصريين
لآل البيت المحمدي وكراحتهم للبذخ الأموي والطغيان العباسي .
وكان مصرع الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - نتيجة
لتفاقم بعض هاتيك الثورات الشعبية . إلا أن أخبار هاتيك
الثورات قد انزوت في زوايا هامشية من كتب التاريخ العربى
القديم ، باعتبارها حدثت في ولاية من الولايات في حين أن
كتب التاريخ العربى تؤرخ للرءوس العليا وللأحداث الجسام .

ولما ظهرت طائفة من المؤرخين المصريين من تلاميذ ابن خلدون وتخصصوا في مصر الإسلامية لم يجدوا أمامهم في المصادر السابقة إلا نتفا من الأخبار المتناثرة لا تحمل تفصيلات شافية، فتناثرت هي الأخرى في كتبهم الجديدة.

ولكن الدكتور حسين نصار - أمد الله في عمره - عني بأمر هاتيك الثورات الشعبية في مصر الإسلامية فحاول التأريخ لها بشكل تفصيلي، إلا أنه لم يجد بين المصادر مصدرا يعنى بأكثر من الأخبار .. (وعلى الرغم من كل هذه المصاعب خرج الكتاب بقدر طيب من الثورات استطاع أن يؤرخ لها، ويصف ما أمكنه من تطوراتها، وأن يجعلها أصنافا مختلفة، وجمع كل صنف منها في فصل على حدة).

وقد صدر هذا الكتيب في طبعته الأولى في يناير عام تسعة وستين بعد التسعمائة والألف، أي منذ ما يقرب من ثلاثة وثلاثين عاما. ونشعر أننا نقدم خدمة حقيقية لقارئ هذه السلسلة حينما نقدم لهم طبعة جديدة من هذا الكتيب البديع.

نرجو أن نكون قد أفدنا. و.. سلام عليكم

• خيرى شلبى •

مقدمة

لا يريد هذا الكتاب أن يؤرخ لمصر في حقبة من حياتها ، فذلك أبعد ما يكون عن هدفه . وإنما يرمى الى تسجيل جانب معين من جوانب الحياة المصرية لايزال في حاجة الى التسجيل والتوضيح . ذلك هو الثورات المصرية في العهد الاسلامي الاول ، أى في القرون الثلاثة الاولى التي تلت الفتح العربي لمصر ، وتنتهى بدخول الفاطميين واقامة الخلافة الشيعية .

ولكنه أهمل ثورتين كبيرتين أو ان شئت الدقة ثلاثا متعمدا . تلك هى الثورة الطولونية والاختشيدية ، وثورة ابن الخليفة لاعادة الحكم الطولونى الى مصر . فهذا الكتاب يعتبر قيام هاتين الدولتين ، ثمرة ثورات وحركات يراد بها

مقاومة النفوذ العباسي . ولكنهما لما كانتا دولتين معروفتين
لا يظللها أى خفاء ، لم يعن بهما الكتاب .

وحق أن هذا الكتاب من وحي الثورة التى تعيش فى
ظلها مصر فى هذه الأيام ، بل تعيش فى ظلها البلاد العربية
كلها . ولكنه يرجو أن يكون تأثير الثورة فيه قاصرا على
الايحاء به ، ولا يتعدى ذلك الى النفوذ فى مشاعر الكاتب،
فتبسطغ فى عينيه الأحداث بصبغة غير لونها الحق ، ويرى
فيها ما يجانب الحق أو ما يخالفه ولو بعض المخالفة . فالحق
هو الهدف الأسمى لكل باحث ، وواجب أن يؤثره كل
دارس على كل هوى .

وراعى الكتاب فى مواضع متعددة أن ينوه بأن ما
وصل الينا من الأخبار يجعلنا نحكم بهذا الحكم أو ذاك .
وهذا التنويه ضرورى ، لأننا لم تصل الينا الأخبار المصرية
مفصلة مبسطة شأنها شأن العراق والشام مثلا . فقد
ضاع كثير من الكتب التاريخية التى ألفها المصريون فى
تاريخ أحداث وطنهم ، ولم يصل الينا الى اليوم الا قليل
أما الكتب العامة أو الموسوعية التى ألفها العراقيون أو
المقيمون فى العراق أو المعتمدون على كتب العراقيين ، فكان
همها الأول أحداث حاضرة الخلافة : العراق ، ثم الأحداث
التي تهز العراق نفسه هزا عنيفا . ويكفينا لإبانة قصورها
فى التاريخ المصرى أن نقول انها لا تذكر كثيرا من أخبار
الدولتين الطولونية والاششيدية على خطرهما أو تشير اليه
إشارة مجملية . ولما كان الأمر كذلك ، كان من المهم تتبع

أحداث التاريخ المصرى فى المظان المختلفة ، وجمعها ، وترتيبها ، وربطها ، وتعليقها ، لأن من يطلع على كتب التاريخ العامة التى أشرت إليها ، يخرج بصورة مشوهة كل التشويه عن تاريخ مصر .

وقد أثرت قلة المراجع فى القدرة على التعرف الكامل على جميع الأحداث التى وقعت فى مصر ، لأن المحتمل بل المرجح أن تكون قد وقعت بعض الأمور التى أفلتت من الكتب الباقية ، وربما كانت مذكورة فى بعض الكتب المفقودة . وأثرت أيضا فى التعرف الكامل على جميع الملابسات والظروف والتطورات والنتائج التى ارتبطت بأى حدث من هذه الأحداث ، ولذلك كان من الضرورى الاعتماد على التخمين فى بعض الأحيان ، وترك بعض الجوانب مبهما أو مظلما فى بعضها الآخر . بل اضطر الكتاب فى أحيان إلى مجرد سرد قائمة بحركات المقاومة دون إضافة أية معلومات عليها ، اذ ليست هذه المعلومات بين يديه .

وعلى الرغم من كل هذه المصاعب ، خرج الكتاب بقدر طيب من الثورات استطاع أن يؤرخ لها ، ويصف ما أمكنه من تطوراتها ، وأن يجعلها أصنافا مختلفة ، وضع كل صنف منها فى فصل على حدة .

ونهجت فى تقسيم الكتاب نهجا حتمه الموضوع ، فجعلته بابين : أولهما للثورات الحمراء التى ضحى فيها بالدماء ، وثانيهما للثورات البيضاء التى لجأ فيها المصريون

الى وسائل أخرى حفظت لهم دماءهم • ورأيت أن الباب
الأول يحتوى على صنفين متمايزين من الثورات : ثورات
كانت صدى لثورات شبت فى المشرق ، وثورات اندلع
لهيبتها لأسباب محلية • فصدرت الكتاب بالنوع الأول
لأنه كان الأول ظهورا ، ثم عالجت الصنف الثانى • وحاولت
جاهدا أن أستكمل الأسباب لايضاح جوانب كل ثورة دون
اضافة شىء من عندى ، لا يعتمد على المراجع القديمة ، حتى
لا أفئات على الحقيقة التى أسعى وراءها • وزدت على البابين
السابقين بابا ثالثا للثورات الكبيرة التى قامت فى مصر
ونجحت فى اقامة امارة خاصة وبهذا النهج أرجو أن أكون
قد أفلحت فى القاء الضوء على هذا الموضوع الهام ، الذى
أظن أن صورته مشوهة غير حقيقية لدى كثير من المثقفين ،
وفى ابانة الجوانب المختلفة منه على قدر ما سمح المراجع
الموجودة •

والله أسأل التوفيق والهداية

حسين نصار

الباب الأول الشركات المحمية

الفصل الأول

تُرَاتِ الْعُلُوِيْن

اشتهر المصرى بالدعة ، وحب السلام ، والقناعة
والرضا بما يتعاقب عليه من أحوال ، وكراهية العنف .
تلقف تلك الخصائص المؤرخون الذين لا يتعمقون
الأمور ، ولا يستقصون البحث ، فظنوها ضعفا فى طبيعة
المصرى ، وخبورا فى قلبه ، وقال قائلهم عن المصريين :
« عبيد لمن غلب » .

ذلك ما اشتهرت به مصر عند القدماء من المؤرخين ،
فما مبلغ صحة هذه الشهرة ، وما أسسها ؟

يعجب المرء - للوهلة الأولى - اذ يرى هذا الوصف ،
والمصريون يتألفون من عنصرين : العنصر القبطى ، وهو
العنصر المصرى القديم ، وهو مشهود له بالاصالة والحضارة ،
ومشهود له بما أبداه من مقاومة ايجابية وسلبية لمن تغلبوا

عليه من محتلين ، حتى صب عليه أباطرة الرومان : وثنيهم
ومسيحيهم ، فنون الاضطهاد والتعذيب ، فما وهن له عود ،
والعنصر العربى ، وهو العنصر المصرى الحديث ، وهو غنى
عن الحديث عنه فى ثوراته وغاراته • فماذا تحدث فى مصر
لهذين العنصرين حتى ضربت عليهما الاستكانة ؟

انه أمر عجب • ولذلك يُخصص له هذا البحث ،
الذى يحاول أن يتحرى الحقيقة خالصة ، وأن يخلص الى
عللها الحق •

ولعل أول ما يبحث عنه الباحث صدى أحداث
الشرق فى مصر ، أعنى وقع الثورات والفتن التى قامت فى
بلاد الخلافة الاسلامية شرق مصر ، على المصريين : هل
كانوا بمعزل عنها ، أو استجابوا لها ؟

وأول فتنة قامت فى الخلافة الاسلامية ، هى ما سُمى
بالفتنة الكبرى ، أيام عثمان وهى فتنة معروفة الأحداث ،
مشهورة الأسباب والنتائج ، تعرض لها كثير من المؤرخين
فجملوها أحسن جلاء • ودور المصريين فيها معروف ليس
به خفاء ، وهو ليس دور المنعزل ولا المتفرج ، وانما دور
القائم بنصيب لا يقل عن نصيب أى شريك آخر ، ان لم
يفقه •

فالطبرى يقول :

كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء ، فأسلم
زمان عثمان ، ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم

فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام . فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم فيما يقول : « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » فمحمدا أحق بالرجوع من عيسى » . فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك : « انه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصى ، وكان على وصى محمد » . ثم قال : « محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء » . ثم قال بعد ذلك : « من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووثب على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتناول أمر الأمة » . ثم قال لهم بعد ذلك : « ان عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه ، وابدعوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم الى هذا الأمر » . فبث دعائه وكاتب من كان استفسد فى الأمصار وكاتبوه . ودعوا فى السر الى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وجعلوا يكتبون الى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك . ويكتب أهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرؤه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسسوا الأرض اذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويسرون غير ما يبدون . فيقول أهل كل مصر :

« انا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء » . الا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا : انا لفي عافية مما فيه الناس » .

فأتى بعض أهل المدينة عثمان فقالوا : « يا أمير المؤمنين ، أياًتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ » فقال : « ما جاءني الا السلامة ، وأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا علي » . قالوا : « نشير عليك أن تبعث رجلاً ممن تشق بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم » . فأرسل الرسل ، ومنهم عمار بن ياسر الى مصر . فرجعوا جميعاً الا عماراً ، فقد استطاع المصريون استمالته الى صفهم .

واستدعى عثمان ولاة الأمصار المختلفة لاستشارتهم ، فخرج اليه عبد الله بن سعد والى مصر واستخلف عقبة بن عامر الجهني أو السائب بن هشام في رجب سنة ٣٥ هـ . فثار عليه محمد بن أبي حذيفة في شوال وأخرجه من الفسطاط ، واستولى على اماره مصر ، وتابعه أهل مصر جميعاً الا جماعة من أنصار عثمان .

ودعا محمد بن أبي حذيفة الى خلع عثمان وحرص عليه بكل ما استطاع . فكان يكتب الرسائل على السنة زوجات النبي ثم يأخذ النوق فيضمها ، والرجال الذين يريد أن يتظاهروا باللاتيان بهذه الرسائل من المدينة فيجعلهم على ظهور البيوت لتلوهم الشمس تلويح المسافر ثم يأمرهم بالخروج الى الطريق الآتي من المدينة الى مصر ،

وبارسل رسل قبل قدومهم ليخبروا الناس بمجيئهم ،
فاذا لقيهم أحد وسألهم عن الاخبار قالوا : « الخبر في
الكتب » . ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة والناس كأنه
يستقبل رسل زوجات النبي ، فاذا لقوهم قالوا : « لا خبر
عندنا ، عليكم بالمسجد » فيجتمع الناس في المسجد ، ثم
يقوم قارئ فيقرأ الرسائل ، وفيها : « انا لنشكو الى الله
واليكم ما صنع في الاسلام » . فيقوم شيوخ وضعهم ابن
أبي حذيفة في نواحي المسجد فيضجون بالبكاء . ثم يقوم
هو فيرتقى المنبر ويحرض الناس .

وأرسل أنصار عثمان من المصريين يعرفونه الخبر ،
فاوفد سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم ويهددهم .
فحرض محمد بن أبي حذيفة أعوانه على سعد ، فخرج اليه
جماعة منهم فقلبوا عليه خيمته وجرحوه وسبوه ، فركب
من وقته وعاد من حيث جاء .

وتكاتب المنحرفون عن عثمان في الأمصار المختلفة ،
وتواعدوا أن يقدموا الى المدينة لينظروا فيما يريدون
ويحاسبوا عثمان . فأخرج محمد بن أبي حذيفة ستمائة
مصرى ، على كل مائة منهم قائد ، وعليهم جميعا
عبد الرحمن بن عديس الهلوى . وخرجت الوفود جميعا
مظهرة أنها تريد الحج وتقابلوا بذى خشب على ثلاث ليال من
المدينة ، وكان هوى أهل البصرة في طلحة ، وأهل الكوفة
في الزبير ، وأهل مصر في علي . ولما سمع أهل المدينة
بمقدمهم تحصنوا وتسلحوا وتأهبوا لمقاومتهم . فتأمرت

الوفود بأهل المدينة اذ أظهرت التفرق والعودة الى أمصارها،
فخسّدع أهل المدينة وتركوا سلاحهم ، فلم يشعروا الا
والتكبير في أرجاء المدينة والوفود في داخلها تحيط بعثمان .
ولما سألهم أهل المدينة عن عودتهم ذكر المصريون أنهم أخذوا
مع بريد عثمان رسالة بقتلهم ، وصدقهم الكوفيون
والبصريون .

وكان المصريون هم الذين أحرقوا باب دور عثمان،
واقترحوها ، وأسهموا في قتله ، وقتل بعض المدافعين
عنه ، حتى قال الطبرى عن محمد بن اسحاق : « كانوا
أشد أهل الأمصار عليه » . ورجع المصريون الى بلدهم ،
وقد حققوا ما أرادوا : انتهاء خلافة عثمان ، وتنصيب على
وقد افتخر شاعرهم بذلك ، فقال وهم يدخلون القسطنطينية:
خذها اليك واحذرن أبا حسن

أنا نمسر الحرب امرار الرسس
بالسيف كى نخمد نيران الفتن

ولم تهدأ الاحوال بمصر ، بل انقسمت الى فئتين :
فئة علوية آل اليها الحكم وعلى رأسها محمد بن أبى حذيفة
وفئة عثمانية تطالب بالثأر لدم عثمان وعلى رأسها معاوية
بن حديج . وابتعد العثمانيون (*) الى الضعيف ليكونوا
بمنأى عن محمد بن أبى حذيفة . فأرسل اليهم جيشاً

(*) نسبة الى الخليفة عثمان ثالث الخلفاء الراشدين رضى
الله عنه .

فالتقوا بدقناش من البهنسا (من مركز بنى مزار بمديرية المنيا) فانهزم جيش الوالى . وانتقل العمثانيون من الصعيد الى برقة ثم دخلوا مصر من الاسكندرية . فأرسل الوالى جيشا التقى بالعثمانيين فى خربتا (من مركز النجيلة بمديرية البحيرة) فى أول رمضان ٣٦ هـ ، فأب بالهزيمة أيضا .

وراسل العثمانيون معاوية بن أبى سفيان ليدخل مصر ، وينتزعها من محمد بن أبى حذيفة فأتى معاوية وعمر بن العاص فى جيش ، فحاولا دخول مصر ، فلم يقدرا . فلم يزالا يخدعان محمد بن أبى حذيفة حتى خرج الى العريش فى ألف رجل . فجاءه عمرو ونصب المنجنيق عليه حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه ، فيهم عبد الرحمن بن عديس قائد الجيش المصرى الذى قتل عثمان . فأخذهم معاوية وسجنهم باللد ، ولكنهم فروا ، فتتبعهم والى فلسطين وقبض عليهم وقتلهم .

وهدأت الأحوال مدة على الرغم من افتراق أهل مصر الى أن ولى محمد بن أبى بكر الصديق ، فكتب الى معاوية بن حديج والخارجين معه يدعونه الى بيعته فلم يجيبوه . فهدم دورهم ونهب أموالهم وسجن ذراريهم . فبلغهم ذلك ، فاستعدوا لقتاله ، وهموا بالمسير اليه . فلما علم أنه لا قوة له بهم ، أمسك عنهم وصالحهم على أن يتركهم يلحقون بمعاوية . وكان معاوية « يهاب أهل مصر لقربهم

منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان ، وكان يرجو أنه إذا ظهر عليها ظهر على حرب على لعظم خراجها ، ولكن العثمانيين من المصريين شجعوه عليها فأرسل عمرو بن العاص فى جيش من ستة آلاف رجل ، انضم اليه الساخطون من المصريين .

وخرج محمد بن أبى بكر فى نحو من ألفى رجل ، وعلى مقدمته كنانة بن بشر . فالتقت الجيوش بالمسنة واقتتل قتالا عنيفا . فجعل عمرو بن العاص يرسل الكتيبة بعد الكتيبة . وجعل كنانة بن بشر لا تأتيه كتيبة من أهل الشام الا شد عليها بمن معه فضربها حتى تفر الى عمرو . فلما رأى عمرو ذلك رأى أن يضرب المصريين بالمصريين ، فبعث الى معاوية بن حديج رأس عثمانية مصر . فأقاه فى مثل الظلام فأحاط بكنانة وأصحابه واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب ولما رأى كنانة ذلك نزل عن فرسه ونزل أصحابه ، وضاربهم بسيفه حتى استشهد . فتفرق أصحاب محمد بن أبى بكر عنه ، ففر ولجأ الى خربة ، فأخذ وقتل قتلة شنيعة . وبلغ من عنف القتال يومئذ ، أن قال عمرو بن العاص : « شهدت أربعة وعشرين زحفا فلم أر يوما كيوم المسنة ولم أر الأبطال الا يومئذ » . وكانت تلك الموقعة فى صفر ٣٨ هـ ، وكان فيها القضاء المبرم على العلويين فى مصر ، اذ لم يظهر لهم شأن فى العهد الأموى كله .

ولكن ما ان بدأت الخلافة العباسية حتى عاود

العلويون الظهور بمصر . فقد أراد الخروج على المنصور
بالمدينة محمد بن عبد الله المغرور بالنفس الزكية ،
وأرسل الى مصر ثلاثة نفر يدعون له : أخاه موسى ، وابنه
علي بن محمد ، ومطرا صاحب الحمام . فأتوا - فيما
يقول الكندي وابن تغري بردى - في عهد حميد بن قحطبة
والى مصر عام ١٤٣ هـ ونزلوا على ثمامة بن عمرو
المعافري . فذكر ذلك صاحب البريد لحמיד بن قحطبة
وطلب اليه أن يقبض عليهم . فكره ذلك حميد وقال :
« هذا كذب » . ودس الى علي بن محمد من نصحه
بالاختفاء ، ثم بعث اليه فى الغد يبحث عنه فلم يجده ،
فقال لصاحب البريد : « ألم أعلمك أنه كذب » . ولكنه
لم تنطل عليه الخدعة ، فأرسل الى المنصور يعرفه
الأمر . فسخط على حميد وعزله فى ذى القعدة ١٤٤ هـ ،
وولى يزيد بن حاتم المهلبى . فاتخذ هذا عبد الله بن
عبد الرحمن بن معاوية بن حديج على شرطته ، وقد عرفنا
كراهية جده للعلويين .

وفى ولاية المهلبى انتشرت دعوة العلويين ، والتف
كثير من المصريين حول علي بن محمد العلوى ، وقام بالدعوة
له خالد بن سعيد الصدقى ، وكان جده ربيعة بن حبيش
من خواص علي بن أبى طالب . وانضم اليهم بعض الامويين
أمثال دحية بن المعصب ، ومنصور الأشل بن الأصبغ ،
وأخيه زيد ، من أبناء عبد العزيز بن مروان فى مصر ،
لنقمتهم على العباسيين الذين انتزعوا السلطة من أيديهم

وكان الأمويون أشد سخطا من غيرهم ، وأعظم عنفا ، حتى أشاروا على خالد الصدفى ، أن يغير على يزيد بن حاتم والى مصر ليلا على غرة ويضرم عليه النار . ولكن بقية أعوانه عدلوا عن هذه الخطة ، وأشاروا عليه أن يستولى على بيت المال ثم يعلن ثورته فى المسجد الجامع . فمال الصدفى الى رأيهم .

وخاف بعض اليمنيين من أهل مصر أن ينفذ الصدفى رأى الأمويين ، فيقتل يزيد بن حاتم المهلبى الوالى ، وهو يمنى الأصل مثلهم ، فخرج رجل منهم كان قد شهد أمر الصدفى كله ، وذهب الى عبد الله بن عبد الرحمن قائد الشرطة ، وأبلغه الخبر . فذهب هذا الى الوالى ليبلغه . وكان ذلك لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين ومائة . وبالليل خرج خالد بن سعيد الصدفى فى أنصاره ، وقد ارتدى قباء وعمامة من الحز الأصفر ، وأعلم فرسه ، وذهبوا الى المسجد الجامع . فوجد الحرس على بيت المال ، فتقاتلوا عليه ، ولكنه لم يستطع أن يغنم منه غير القليل وبعث المهلبى الوالى قائد الشرطة فى ثلاثة نفر ليستطلعوا الأمر ، وقال لهم : « ان رأيتم المصابيح فى الدور فهو أمر عام ، فانصرفوا الى ، والا فأتوا المسجد فاعلموا الخبر » وتبين للوالى أن الأمر يسير ، فجمع ما استطاع من جموعه ، وكان كثير منهم يأتية سكران ، ففرقهم فى النواحي ليحيطوا بالثائرين . وأطبقوا عليهم فقتلوا منهم ثلاثة عشر رجلا ، وفر جماعة ، وأسر جماعة . وكان من

الفارين قائد الثورة خالد بن سعيد الصدفي ، اذ أنه لما أحيط بهم دون أن يشعروا ، خاف عليه قائد الشرطة ابن حديج فصاح فيه باللغة القبطية منبها إياه وطالبا إليه الفرار ففر . وقد فعل به ذلك لكونهما يمنيين . واستجار خالد بإسماعيل بن حيوة الحضرمي ثم بعياش ابن عقبة ، فأبيا أن يخفيا عندهما . فلجأ إلى يحيى بن جابر الحضرمي ، فأواه سبعين ليلة حتى سكن البحث عنه وهدأ أمره . وقد أمر المهلبى الوالى بعد ذلك بإطلاق سراح الأسرى .

أما الدعاة الثلاثة الذين أرسلهم النفس الزكية للدعوة له فقد أجمعت المراجع التاريخية على عدم الإشارة إلى ما حدث لثالثهم ، وهو مطر ، وذكر الطبرى وأبو الفرج أن موسى بن عبد الله نجا وفر من مصر ، وقبض عليه بعد ، واختلف فى أمر على بن محمد فذكر الطبرى وأبو الفرج وابن الأثير أن والى مصر قبض عليه وأرسله إلى المنصور ، فاعترف على أبيه وأصحابه . وذكر أبو الفرج أن المنصور « حبسه مع أهله فمات معهم ، وقد قيل انه بقى فى الحبس فمات فى أيام المهدي ، والصحيح أنه توفى فى أيام أبى جعفر » . وذكر الكندى أن على بن محمد لم يقبض عليه ، وإنما اختفى عند عسامة بن عمرو المعافى ، الذى أنزله بقرية له من بطوة بعيدا عن الفسطاط فمرض على بها ومات فدفن بها . وقبض على عسامة فأرسل إلى العراق وحبس زمانا . فلما تولى المهدي الخلافة تشفع أبو عبيد الله

- الأشعري كاتبه في عسامة ، لما بين قبيلتيهما من مودة .
- فأمنه المهدي علي أن يذكر له أمر علي بن محمد صادقاً .
- فقال : « مات والله يا أمير المؤمنين في بيتي لاشك فيه » .
- فصدق المهدي وكافأه ورده الى مصر .

وهذأت الأحوال تمام الهدوء عندما استطاع العباسيون القضاء على الثورة العلوية بالحجاز ، التي كانت الثورة المصرية صدى لها . فقد قضى المنصور على ثورة محمد بن عبد الله بالحجاز ، ثم ثورة أخيه إبراهيم ببخمرى من العراق . ثم أرسل الرسل والخطباء الى مصر برأس إبراهيم في ذى الحجة ١٤٥ . فنصبوه في المسجد الجامع وقام الخطباء فذكروا أمره .

وذكر الطبرى (٣ : ٤٣٣) :

أن أبا جعفر لما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة ، وأخاه إبراهيم ببخمرى ، وخرج إبراهيم بن حسن بن حسن بمصر فحمل اليه ، كتب الى بنى علي بن أبى طالب بالمدينة كتاباً ، يذكر لهم فيه إبراهيم بن الحسن بن الحسن وخروجه بمصر ، وأنه لم يفعل ذلك الا عن رأيهم ، وأنهم يدبون فى طلب السلطان ، ويلتمسون بذلك القطيعة والعقوق . . . » . ولا تذكر بقية المراجع شيئاً عن إبراهيم ابن الحسن الذى أشار اليه الطبرى ، كما أن كل من سمي باسم قريب من هذا الاسم وخرج مع محمد بن عبد الله كان بالحجاز لا مصر ، ويبدو أن الاسم اختلط على الطبرى ،

وأنه كان يريد على بن محمد بن عبد الله ، الذي تكلمنا عنه .

وبقيت جماعة من المصريين لا تزال تعطف على العلويين ، ولكنها تكتم ذلك وتتحين الفرص للثورة نستنبط ذلك من الخبر التالي الذي يرويهِ ابن الأثير . لما أقام عبد الله بن طاهر بمصر واليا عليها من قبل المأمون عام ٢١١ هـ ، ذكر المعتصم للمأمون : « ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد على بن أبي طالب ، وكذا كان أبوه قبله ، فأنكر المأمون ذلك . فعاوده أخوه . فوضع المأمون رجلا ، قال له : « امش في هيئة القراء والنسك الى مصر فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا ثم صر الى عبد الله بن طاهر فادعه اليه ، واذكر له مناقبه ورغبه فيه ، وابحث عن باطنه ، وأتني بما تسمع » . ففعل الرجل ذلك ، فاستجاب له جماعة من أعيانه . فقعد بباب عبد الله بن طاهر ، فلما ركب قام اليه فأعطاه رقعة . فلما عاد الى منزله أحضره . قال : « قد فهمت ما في رقعتك ، فهات ما عندك » . فقال : « ولى أمانك ؟ » قال : « نعم » . فدعاه الى القاسم وذكر فضله وزهده وعلمه . فقال عبد الله : « أتصفني ؟ » قال : « نعم » . قال : « هل يجب شكر الله على العباد ؟ » قال : نعم . قال : « فتجىء الى ، وأنا في هذه الحال الى خاتم في المشرق جائز ، وخاتم في المغرب جائز ، وفيما بينهما أمرى مطاع ، ثم ما ألتفت عن يميني ولا شمالي وورائي وأمامي الا رأيت نعمة

لرجل أنعمها على ، ومنة ختم بها رقبتى ، ويذا لائحة بيضاء
ابتدأنى بها تفضيلاً وكرماً - تدعونى الى أن أكفر بهذه
النعم وهذا الاحسان . . تراك لو دعوتنى الى الجنة عيذاً
أكان الله يحب على أن أغدر به وأكفر احسانه وأنكث
بيعته ؟ » فسكت الرجل ، فقال له عبد الله : « ما أخاف
عليه الا نفسك ، فارحل عن هذا البلد ، فان السلطان
الأعظم ان بلغه ذلك كنت الجانى على نفسك ونفس غيرك »
فلما أيس منه جاء الى المأمون فأخبره ، فاستبشر وقال :
« ذلك غرس يدي » . .

وفى عام ٢٣٥ هـ كان العلويون قد كثروا بمصر ،
حتى ان المتوكل لما غضب عليهم وأراد التنكيل بهم ، أرسل
الى والى مصر اسحاق بن يحيى يأمره باخراجهم من مصر
الى العراق . ولكن الوالى تلىف بهم ، فأعطى كل رجل
منهم ثلاثين ديناراً ، وكل امرأة خمسة عشر ديناراً ،
لينفقوا منها على رحلتهم ، وفرق عليهم الثياب ، فخرجوا
من الفسطاط يوم الاثنين لعشر خلون من رجب سنة
٢٣٦ ، فقدموا العراق ، فأمروا بالخروج الى المدينة فى
شوال . وسخط الخليفة على الوالى لرفقه بهم ، فعزله بعد
مدة يسيرة وفى المدينة منع المتوكل العلويين من التعرض
لمسألة الناس ، ومنع الناس من البر بهم حتى كان القميص
يتداول بين جماعة من العلويات يضلن فيه واحدة
بعد أخرى ، ثم يرفعنه . الى أن قتل المتوكل فعطف المنتصر
عليهم وأحسن اليهم .

وفى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر (٢٤٢ -
٢٥٣) .لقى العلويون فنونا من الاضطهاد . وبدأ بالغلاة
منهم المعروفين بالرافضة ، فقتلهم وامتحنهم وعاقبهم
وأبادهم ، وقمع أكابرهم ، وحمل جماعة منهم الى العراق
على أقبح وجه .

ولما تولى المنتصر الخلافة (٢٤٧ - ٢٤٨) أرسل
كتابا الى يزيد التركى ألا تسند قبالة أية ضيعة الى علوى
ولا يؤذن له بركوب فرس ، ولا يسافر من الفسطاط الى
طرف من أطرافها ، ويمنع من اتخاذ العبيد الا العبد
الواحد ، وان كانت بينه وبين أحد خصومة قبل قول
خصمه دون أن يطالب ببينة . وكان من أثر هذا أن ثار
محمد بن على بن الحسين فى شعبان ٢٤٨ هـ . والتف حوله
جماعة من المصريين . وبايعوه . ولكن أمره لم يتم ، اذ
استطاع يزيد التركى أن يهزمه ويقبض عليه . فاعترف
بجرمه وبيع أسماء شركائه . فأخذوا وضربوا بالسياط
وأخرج هو فى جماعة من العلويين الى العراق فى رمضان
ثم دأب يزيد التركى على ازعاج العلويين وإخراجهم الى
العراق الى أن انتهت ولايته .

وفى ولاية أزجور التركى (رمضان ٢٥٤ -
ذو القعدة ٢٥٤) خرج بغا الاكبر أحمد بن ابراهيم
بالصعيد . فبعث اليه أزجور بأربعمائة رجل ، استطاعوا
أن يهزموه ، فهرب ، ومات فى هربه .

وفى أوائل عهد أحمد بن طولون خرج أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا المعروف ببغا الأصغر ، بين الاسكندرية وبرقة فى جمادى الأولى ٢٥٥ هـ ، فانضم اليه بعض بنى مدلج ، وهم أعز قبيلة بالاسكندرية . ثم انتقل الى الصعيد ، وكثر أتباعه ، فادعى الخلافة . فوجه اليه ابن طولون جيشا على رأسه بهم بن الحسين . فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب بغا وثبت هو . فتمكن منه بهم فقتله . وقطع رأسه ، وأتى به الى القسطنطينية يوم الثلاثاء لحدى عشرة بقيت من شعبان من السنة نفسها .

ثم خرج بعده بالصعيد أيضا ابراهيم بن محمد بن يحيى ، المعروف بابن الصوفى العلوى . وفى ذى القعدة ٢٥٥ هـ ، استولى على اسنا ، فنهبها وقتل أهلها ، وعاث فسادا فى نواحيها ، وعم شره البلاد . فأرسل اليه ابن طولون جيشا على رأسه ابن يزداد ، فالتقوا بهـ (من مركز نجع حمادى بمديرية قنا الآن) . يوم الاربعاء لخمس خلون من ربيع الاول ٢٥٦ . فانتصر ابن الصوفى وظفر بابن يزداد ، فقطع يديه ورجليه وصلبه . ولما بلغ ذلك ابن طولون أرسل جيشا آخر على قيادته بهم بن الحسين الذى أخذ ثورة بغا ، وضم اليه قائدا آخر . فالتقت الجيوش باخميم يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم ابن الصوفى ، وقتل كثير من رجاله . وفر هو الى الواحات ، تاركا جميع ما كان معه فغنم بهم بن الحسين كل ذلك ، ورجع به الى ابن طولون

فعرفه بما جرى . فخلع عليه خلعاً حساناً ، وطوقه بطوق
ثقيل من ذهب ، وأجازه وقاد بين يديه خيلاً حساناً . فكان
بهم إذا ركب في الأعياد يركب بذلك الطوق .

وأقام ابن الصوفي بالواحات يلم شيعته ويصلح
أحواله ويدعو الناس إليه ، فتبعه خلق كثيرون . وفي
المحرم من سنة ٢٥٩ هـ ، خرج في جيشه إلى الأشمونين
من إقليم أسبوط . فوجه إليه ابن طولون جيشاً على رأسه
ابن أبي المغيث ، من خمسمائة . ولكنهم لم يقتتلوا ،
لأن جيش ابن طولون وجد جيش ابن الصوفي قد رجع إلى
الصعيد الأعلى ، لقتال أحد الثائرين به ، وهو أبو
عبد الرحمن العمرى . فلما التقى العلوى بالعمرى ، كان
بينهما قتال شديد ، انتصر فيه العمرى ، وقتل كثير من
أنصار العلوى . أما هو فقد ولى منهزماً إلى أسوان ، فقطع
كثيراً من نخلها ، وعاث فيها فساداً . واذ بلغت الأخبار
ابن طولون ، طلب إلى بهم بن الحسين اتباع ابن الصوفي
حيث كان وأرسل إليه مدداً جديداً . ولما تتابعت الأحداث
على ابن الصوفي ، اضطرب أمره ، ومضى هارباً إلى عيذاب
وهي آخر بلدة مصرية في الجنوب على البحر الأحمر .
ومنها ركب البحر إلى مكة . فلما بلغها سمع به وإليها
فقبض عليه وحبسه ، ثم أرسله إلى ابن طولون . فلما
وصل إلى مصر ، طيف به وشهر للناس على جمل ، ثم
اعتقل مدة . وبعد حين أظهر التوبة ، فأطلق ابن طولون .

سراحه وأحسن إليه ، فخرج إلى المدينة وأقام بها إلى أن مات .

وفي عام ٢٦٠ خرج بالصعيد أيضا أحد أنصار ابن الصوفي العلوي ، وهو أبو الروح سكن ، وكان من بوادي بحيرة الأسكندرية ، تربى بالريف . والتفت حوله طائفة كبيرة ، فقطع الطريق وأخاف سالكيه . فوجه إليه ابن طولون جيشا على رأسه يلبق الطرسوسي ، ومعظم أفرادهم من طرسوس . ولما كان أبو روح من ناشئة الريف ، كان أدري بطرق الحرب فيه ومكيدة الخصوم من الطرسوسي . فلما اجتمعا للقتال أوقف أصحابه في أرض كثيرة الشقوق ، كان بها قمح فحصد وبقي من تبته على الأرض ما يستر شقوقها ، وأهل الريف قد ألفوا المشي على مثل هذه الأرض ، ولا عهد لأهل طرسوس بها . فلما التقوا تظاهر أنصار أبي روح بالهزيمة والفرار ، فتبعهم فرسان يلبق . ف وقعت حوافر خيلهم في تلك الشقوق فكبت بفرسانها ، وسقط بعضهم على بعض . وهنا كر عليهم أصحاب أبي روح ، فقتلوا الساقطين شر قتلة ، وهزموا الباقين أقبح هزيمة . فعاد يلبق إلى الفسطاط ، فكان الذي لقي هو وأصحابه من غوغاء البلد وسخريتهم أعظم مما لقوه من الهزيمة .

وأهمل ابن طولون أمر أبي روح مدة ، تقدم فيها هذا إلى أن وصل إلى الفيوم . فأنفذ إليه ابن طولون جيشا

تحت قيادة ابن جيفويه ، وأمره أن يأخذ على طريق الواحات من ناحيه الصحراء ليملك على أبي روح فم البثريه من هناك . ثم أنفذ جيشا آخر ، تحت قيادة شعبة ابن خركام ، وأمره بالمسير اليه مباشرة . وأراد أبو روح أن يكرر حيلته ، ولكن أصحاب شعبة كانوا قد أخذوا حذرهم ، فأطبقوا عليهم وأحاطوا بهم . فلما علم أصحاب أبي روح أن حيلتهم لم تفلح ، ولوا منهزمين ، فرموهم بالسهم ، فقتلوا منهم خلقا وأسروا آخرين . وهرب أبو روح يريد طريق الواحات ، ولا ملجأ له غيره . فوجد الجيش الآخر قد ملك عليه الطريق ، فوقف وراسله بالامان وظن ابن جيفويه أن شعبة لم يلقه ، ولم يحدث قتال ، وأنه وافاه قاصدا طلب الامان راغبا فيه ، فأمنه . ولما بلغ ابن طولون ذلك اغتاض على ابن جيفويه غيظا عظيما ومنعه من الرجوع الى الفسطاط ، وألزمه سكني الريف شهورا كثيرة ، عقوبة له على اعطائه الامان ، وكان قد تم له هلاكه .

وفي سنة ٣٠٠ هـ ، خرج رجل بمدين على الحدود بين مصر وفلسطين ، وزعم أنه من آل أبي طالب . فخرج اليه محمد بن طاهر صاحب الشرط ، فهزمه وأتى به . فطيف به لأربع عشرة خلت من شعبان سنة ثلاث مائة .

وخرج ذكا الاعور والى مصر الى الاسكندرية في المحرم ٣٠٤ هـ ، ورجع الى الفسطاط في ربيع الاول .

فبلغه أن جماعة من المصريين اتصلوا سرا بالفاطمين ،
الذين أقاموا لهم دولة في شمال أفريقية ، وراسلوهم
يبلغونهم أخبار مصر . فقتبع كل من اتهم بهذه التهمة
فقبض على جماعة منهم وسجنهم ، وقطع أيدي قوم
وأرجلهم .

وفي شوال من سنة ثلاثين ومائتين ، خرج الأمير
محمد بن طغج الاخشيد من مصر الى الشام ، واستخلف
على الفسطاط أخاه أبا المظفر في قليل من الجند . وانتهر
هذه الفرصة السانحة محمد بن يحيى العلوي المعروف
بإبن السراج فخرج عليه ومضى الى الصعيد ليجمع الناس
حوله ويستطيع منازل الاخشيديين . ثم انتقل إبن السراج
الى الجانب الغربى من وادى النيل عند شرونة ، واستولى
على سمسطا ونهبها فى ذى القعدة ، والبلدتان من مديرية
بنى سويف الآن . ولكنه أدرك أن الأمر غير متيسر له ، فأثر
الابتعاد عن مصر ، ومضى فى طريق المغرب حيث لحق
بالفاطمين فى شمال أفريقية .

وفي ربيع الآخر من سنة خمس وثلاثين ومائتين ، أى
بعد مضي خمس سنين ، عاد إبن السراج من المغرب الى
مصر ، وكان أميرها حينئذ أبا القاسم أنوجور بن الاخشيد
فلما بلغه مقدمه ، صده وطلب إليه الخروج من مصر .
فمضى الى الرملة من أرض فلسطين وأقام بها الى أن توفى .

وكان الإخشسيديون يدأرون العلويين بمصر استرضاء
للفاطميين في المغرب •

وأخيرا توجهت جهود العلويين في مصر باستيلاء
الفاطميين عليها ، وانتزاعها من الخلافة العباسية ، وإقامة
خلافة شيعية بها ، وصلت الى أرقى مدارج الترقى والتحضر
وكان لعلوي مصر فضل كبير في تمهيد الطريق كي يستطيع
الفاطميون اقتطاف الثمرة الناضجة •

الفصل الثانى

ثورات الأمويين

بدأت الثورات المصرية الاسلامية بابتداء الفتن فى العالم الاسلامى ، وكانت بداية عنيفة عارمة شأنها فى غير مصر من أقطار الخلافة واصطبغت ثورة مصر خاصة بصبغة علوية ، بينما كان هوى غير المصريين من الثائرين فى الزبير بن العوام أو طلحة بن عبيد الله .

واذا استطاع الأمويون أن يتغلبوا على العلويين ، وأن يحوزوا الخلافة دونهم ، تيسر لهم أيضا اخماد الثورة المصرية العلوية فى عنف وتمثيل بالثائرين ، أروع بقية من يضمم هوى لأبناء على ، وجعلهم يهددون حتى يكاد ينقضى العصر الأموى دون أن تقوم ثورة علوية أخرى لها شأنها .

وقد اتضح لنا فى أثناء الفصل السابق أن العلويين فى أوج قوتهم لم يسيطروا على مصر سيطرة كاملة ،

ويوحدوها تحت راية علي بن أبي طالب . اذ وجد بازائهم جماعة قوية كبيرة العدد ، لا ترضى عن الخروج على الخليفة القائم : عثمان بن عفان ، والدعوة الى احلال علي بن أبي طالب محله . ولم ترض هذه الجماعة عن مقتل عثمان ولا الانطواء تحت امره من اعتبرتهم قتلته . فأثرت الابتعاد عن عاصمة البلاد : القسطنطينية . وتعرف هذه الجماعة بالعثمانيين ، انتساباً الى عثمان بن عفان .

فقد اعتزل هؤلاء القوم ، وعلى رأسهم معاوية بن حديج وخارجة بن حذافة وبسر بن أبي أرطاة ومسلمة ابن مخلد الأنصاري ، محمد بن أبي حذيفة ، الذي استولى على السيادة بمصر باسم علي ، وبعثوا رسولا الى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة . وعندما قتل عثمان كانوا أول من بايع على الطلب بدمه ، ودأبوا على قتال ابن أبي حذيفة حتى تخلصوا منه .

ولما تولى قيس بن سعد الأنصاري مصر من قبل علي ابن أبي طالب أراد أن يستميل هؤلاء العثمانيين - وكانوا مقيمين بخربتار بالدين . فتركهم على مذهبهم ، وبعث اليهم أعطيائهم ، وأحسن الى وفدهم اليه وأكرمه . فكره ذلك معاوية بن أبي سفيان ، لأن فيه استتباب الامن في مصر ، وخضوعها لعلي ، فأراد مكيدة قيس . فقال لأهل الشام : « لا تسبوا قيسا ، ولا تدعوا الى غزوه ، فان قيسا لنا شيعة ، تأتينا كتبه ونصيحته ، ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بخربتار ! يجرى عليهم

أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن الى كل راكب
يأتيه منهم » . وكتب بذلك الى شيعته من أهل العراق
أيضا . فسمع جواسيس على هذا الكلام فأنهوه اليه .
وحثه أصحابه على أن يأمر قيسا بقتال العثمانيين في
خربتا ، وكانوا قريبا من عشرة آلاف . فأمر على قيسا
بذلك ، فأبى قيس وكتب اليه : « انهم وجوه أهل
مصر وأشرفهم وأهل الحفاظ . وقد رضوا مني بأن أؤمن
سربهم ، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم . وقد علمت
أن هواهم مع معاوية فلست مكايدهم بأمر أهون من الذي
أفعل بهم ، وهم أسود العرب » . فأبى عليه الا قتالهم ،
فأبى قيس وكتب اليه : « ان كنت تتهمني فاعزلني وابعث
غيري » . فعزله .

ولما ولي على محمد بن أبي بكر الصديق ، نصحه
قيس بن سعد فقال له : « دع معاوية بن حديج ومسلمة
ابن مخلد وبسر بن أبي أرطاة ومن ضوى اليهم لا تكفهم
عن رأيهم ، فان أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم ، وان تخلفوا
عنك فلا تطلبهم » . فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس
فاشتعلت الحرب التي رأيناها انتهت بمقتله ، واستيلاء
معاوية على مصر ، وتحول الحزب العثماني الى حزب أموى .

وكثر أنصار الحزب الأموى بمرور الوقت ، اذ انضم
الى هؤلاء الأمويين بالهوى أمويون بالنسب ، من أبناء
الأمويين الذين ولوا امرة مصر . وأهم هؤلاء أبناء عبد العزيز

ابن مروان الذين تناسلوا بمصر وتكاثروا . وبلغوا في
أواخر الدولة الأموية الى درجة أن خالف بعضهم بعضا .
ففي عام ١٣٢ هـ خرج عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن
مروان على آخر خليفة أموي مروان بن محمد ، ودعا لنفسه .
فتابعه الدماحس بن عبد العزى في جمع من قيس ، ونزلوا
الحوف الشرقي وأظهروا العصيان . فبعث اليهم والى مصر
جيشا في سبعة آلاف . فالتقوا ببلييس ، ولكنهم لم يتحاربوا ،
وانما طلب أصحاب عمرو الصلح على أن يخرجوه هو
والدماحس الى أى أرض شاءا . فقبل قائد جيش الوالى
الصلح بهذه الشروط وانفضوا . ثم ظفروا بعمرو فحبس
فى القسطنطينية ، الى أن قدم الخليفة مروان بن محمد مصر
فأرأى أمام العباسيين . فجعله معه فى حله وترحاله وهو
مقيد . فلما قتل مروان ، هرب عمرو بن سهيل .
ولما سيطر العباسيون على الامور فى مصر بعث
مقتل مروان ، قتلوا كثيرا من الأمويين المقيمين بمصر .
ولم ينجح منهم الا بعض من كان يوالىهم منهم ، ومن فر
الى الصعيد أو المغرب أو الأندلس . فضعفت شوكة
الأمويين كثيرا ، حتى لقد رأيناهم ينضمون الى أعدائهم
الأقدمين : العلويين ، لاتفاق مصالحهم ضد العباسيين ،
فالتف دحية بن المعصب ومنصور الاشلى بن الأصمغ
الأمويان الى على بن محمد العلوى الثائر بمصر عام ١٤٥ هـ
وكانا من أشد المحرضين له ، غير أن ثورته أخفقت .
وفى ولاية ابراهيم بن صالح (١٦٥ - ١٦٧)

خرج دحية بن المعصب بن الأصبع بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد ، ومنع الخراج ، ودعا الى نفسه بالخلافة . وتراخى ابراهيم بن صالح عنه استهانة بأمره ، فاستفحل شأنه وملك عبادة الصعيد . فسخط انخليفة المهدي على ابراهيم وعزله عزلا قبيحا ، وولى مكانه موسى بن مصعب الخثعمي . وأعد موسى جيشا من خمسة آلاف ، تحت قيادة عبد الرحمن بن موسى بن علي اللخمي . وبعث به الى الصعيد للقضاء على ثورة دحية ، التي استفاضت في الجانب الشرقي من وادي النيل في الصعيد . وذهب هو على رأس بقية جند مصر كلهم ، للقضاء على ثورة أهل الحوف الشرقي . ولكن أهل الحوف اتفقوا مع جند الفسطاط ، الذين كانوا يكرهون الخثعمي ، على الانهزام عنه ، وتركه وحيدا في أثناء القتال . والتقى الجنود بالفريراء من الحوف ، فنفذ جند الفسطاط الاتفاق . فبقى الخثعمي في طائفة صغيرة ممن كان قسدا بهم وأفراد من المصريين . ومن الطبيعي أن الثوار استطاعوا القضاء عليه وجماعته ، وقتله ، على حين عاد جند الفسطاط الى العاصمة دون أن يصاب منهم أحد .

وفي تلك الأثناء كان الجيش الذي أرسله الى الصعيد مشتبكا في قتال عنيف مع جند دحية دون جدوى . فقد لجأ هذا الى المراوغة ، اذ ترك بعض جنده في الضفة الشرقية من النيل ، تحت قيادة يوسف بن نصير التجيبي ، واجتاز هو الى الجانب الغربي وحاز أكثره . ولم يستطع

اللعخمى قائد الوالى أن يواجه الجيش الذى تركه دحية فى حرب حاسمة ، فطلب من الوالى أن يعفيه ، وأقام مقامه بكار بن عمرو المعافى .

ولى مصر عسامة بن عمرو المعافى ، فكتب دحية الى قائده التجيبى يأمره بالمسير الى الفسطاط للاستيلاء عليها . فالتقى جيشه مع جيش الوالى فى بركوت من مديرية الجيزة ، فتحاربوا يومهم كله . ثم دعا التجيبى الى المبارزة ، قائلا « قد ترى ما الذى قتل بيننا من الناس . ابرز الى وأبرز اليك ، فأينا قتل صاحبه كان الفتح له . » فتبارز القائدان ، فوضع كل منهما رمحه فى خصرة الآخر ، فقتله . فانفصل الجيشان ورجعا مهزومين ، وكان ذلك فى الثالث من ذى الحجة ١٦٨ هـ .

ولى الخليفة المهدى واليا جديدا ، هو الفضل بن صالح . فقدم مصر فى آخر المحرم ١٦٩ هـ فى جيوش عظيمة من أهل الشام ، للقضاء على ثورة دحية . وعبأ الجيوش وأرسلها فى البر والنيل . فالتقت فى بويط من مركز البدارى بمديرية أسيوط . ونشب بينهم قتال عنيف قتل فيه قائد دحية ، فتقهقر أصحابه . وفر هو مع جماعة من جنده الى الواحات ، وكان أهلها يعتنقون مذهب الخوارج . فتظاهر دحية بأنه على مذهبهم ، فأيدوه ونصروه على ما جاء فى أثره من جيوش الوالى . ولكنهم سرعان ما تبينوا أمره ، وأنه ليس من أهل مذهبهم ،

فانفضوا من حوله وانتهز عبد الله بن علي الجنبى • قائد
جيش الوالى ، الفرصة ، وكر عليه • فاشتبكوا فى قتال
مرير ، أسهم فيه رجال بنى أمية ونساؤها ، وخاصة « نعم »
زوجة دحية ، حتى قال شاعرهم :

فلا ترجعى يا نعم عن جيش ظالم
يقود جيوش الظالمين ويجنب

وكرى بنا طردا على كل سابح
الينا منايا الكافرين يقرب

كيوم لنا لازلت أذكر يومنا
بفאו ، ويوم فى بويط عصبص

ويوم بأعلى الدير كانت نحوسه
على فيئة الفضل بن صالح تنعب

ولكن جيش الوالى استطاع أن يهزم دحية ويفرق
أتباعه ، ويقضى على خلافته ، ف قضى بذلك على أكبر ثورة
قام بها الأمويون فى مصر • اذ لا نعود نسمع عنهم فيها
بعد دحية • ويبدو أن ما صبه عليهم العباسيون فى مبدأ
خلافتهم ، ثم بعد ثورة دحية ، من تقتيل وتعذيب وتشريد
ذهب بقوتهم فى مصر ، ولم يترك منهم الا بقية لا شأن
لها •

ويتضح لنا من هذه الأخبار التى وصلت الينا عن
الأمويين ، أنهم كانوا أقوياء كثرى العدد ، وأنهم اشتركوا

في ثسورات دامفة عنيفة في مطلع الدولتين الاموية
والعباسية ؛ وكانوا في المعارك الأولى يثارون لدم عثمان
ويمهدون لاقامة خلافة أموية ، وفي الثسورات الاخيرة
يثارون لخلافتهم المنهارة ويحاولون تقويض دعائم الخلافة
العباسية القائمة ، واقامة خلافة أموية مصرية .

الفصل الثالث

ثورات الخوارج

كانت الفتنة الكبرى ، التي عاصرت مقتل عثمان ابن عفان ، سببا في ظهور حزب ثالث في المشرق ، هو أعنف حزب إسلامي : حزب الخوارج . فقد دأب الخوارج طوال العهد الأموي وشطرا من العباسي ، على القيام بالثورات الجامحة المدمرة ، التي استماتوا في القتال فيها ، وكادوا في بعض الأحيان يذهبون بالدولة الأموية ،

ولم تكن مصر بمعزل عن هذا الحزب العنيف ، بل ظهر فيها جماعات تدين بأرائه وتعتنق تعاليمه . وأول ما نسمع بهم في مصر في فتنة عبد الله بن الزبير ، ويبدو أنهم دخلوها مع أنصار ابن الزبير . فالكندي يقول : « توفي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ، ودعا ابن الزبير الى نفسه . فقامت الخوارج الذين بمصر في أمره وأظهروا دعوته ، وكانوا يحسبونه على مذهبهم . »

ووفدوا منهم وفدا اليه ، وسألوه أن يبعث اليهم بأمر
يقومون معه ويؤازرونه . . . وبعث ابن الزبير اليها
بعبد الرحمن بن جحدم الفهوى ، فقدمها في طائفة من
الخوارج » . ويقول ابن تغرى بردى عن ولاية ابن جحدم :
« وليها من قبل عبد الله بن الزبير بن انعوام ، لما بويع
بالخلافة في مكة ، وبايعه المصريون ، وتوجه اليه منهم
جماعة كثيرة وبايعوه . . . ودخل معه مصر جماعة كثيرة
من الخوارج ، وأظهروا دعوة عبد الله بن الزبير بمصر ،
ودعوا الناس لبيعته ، فتابعهم الناس والجنود على ما في
قلوبهم من الحب في الباطن لبنى أمية » . ولعل التعليل
الذى يوضح هذه العبارات أن الخوارج كانوا قليلين بمصر
ولكن الذين دخلوا مع ابن جحدم كانوا كثيرين ظاهرين .

وبويع مروان بن الحكم خليفة في دمشق ، فدعاه
الأمويون الى المسير الى مصر لانتزاعها من ابن الزبير . فسار
على رأس جيش وأرسل ابنه عبد العزيز على رأس جيش آخر
لغزوها . فأشار أنصار ابن جحدم عليه أن يحفر خندقا
حول القسطنطينية ، فحفره في شهر . قال ابن أبي
زمره :

وما الجد الا مثل جد ابن جحدم
وما العزم الا عزمه يوم خندق

ثلاثون ألفا هم أثاروا ترابيه
وخدوه في شهر ، حديث مصدق

وأرسل ابن جحدم أسطولا بحريا لمهاجمة الشام ،
وجيشا بريا تحت قيادة السائب بن هشام العامري لمقابلة
مروان ، وآخر لصد ابنه عبد العزيز . ولكن الحظ السيء
حالف هذه الجيوش . فالأسطول هبت عليه عاصفة عنيفة
أغرقت بعض سفنه وأرغمت بعضها الآخر على العودة الى
مصر . وجيش السائب رجع بدون قتال ، لأن مروان
نمي اليه أن للسائب ابنا رضيعا بفلسطين ، فأخذه . فلما
التقى بالسائب ، أبرز اليه الطفل فقال : « أتعرف هذا
يا سائب ؟ » قال : « هذا ابني » قال : « نعم ، فوالله لئن
لم ترجع عودك على بدئك لأرمينك برأسه » . فرجع
السائب بجيشه دون قتال ، فسمى جيشه جيش الكرارين .
والجيش الثالث قابل عبد العزيز بن مروان ببصاق - وهي
سطح عقبة أيلة - فاقتتلوا فانهزم .

وسار مروان حتى نزل عين شمس ، فخرج اليه
ابن جحدم ، فتحاربوا يوما أو يومين ، ثم رجع وراء خندقه
وظل القتال سجالا بينهما مدة ، يخرج ابن جحدم جماعة
يقاتلون ثم يرجعون ويخرج غيرهم وهلم جرا . فقتل كثير
من أهل القبائل من أهل مصر ومن أهل الشام أيضا . ولما
ملوا القتال تفاوضوا في الصلح ، على أن يأخذ مروان مصر ،
ولا يتعرض لابن جحدم . وتم الصلح ، فدخل مروان مصر
في غرة جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ ولما استقر مروان بمصر
قتل جماعة من أنصار ابن جحدم ، منهم ثمانون رجلا
من المعافر ، دعاهم الى أن يبايعوا له ، فأبوا وقالوا : « انا

قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته .
فقدمهم رجلا رجلا ف ضرب أعناقهم .

وفى عام ٩١ هـ خرج قرّة بن شريك والى مصر الى
الاسكندرية ، فتعاقدت الشراة بها (وهم الخوارج) على
الفتك به . وكان عددهم نحو مائة رجل من رؤسائهم من
بنى تميم . ولكن رجلا يكنى أبا سليمان سمعهم يتآمرون
فوشى بهم عند قرّة . فقبض عليهم فى الموضع الذى
يجتمعون فيه للتآمر ، وهو أصل منارة الاسكندرية .
وحبسهم هناك وأحضر رؤساء جنده ، فسألهم أمامهم .
فأقروا فقتلهم . ومضى رجل خارجى المذهب الى أبى
سليمان - الذى وشى بهم - فقتله .

وفى سنة ١١٧ خرج وهيب اليعصبى من خوارج
مصر الوافدين من اليمن ، على واليها الوليد بن رفاعة
لسماحه للنصارى بابتناء كنيسة . وأتى اليه
ليفتك به ، ولكنه أخذ وقتل . فجعلت امرأة وهيب تطوف
بالليل على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدمه ، فخرجوا
على الوالى . واقتتل الفريقان بجزيرة الروضة ، ولكن
الوالى - فيما يبدو - استطاع اخماد الفتنة .

وفى ولاية الحوثر بن سهيل الباهلى (١٢٨ - ١٣١)
أرسل عبد الله بن يحيى طالب الحق الخارجى الذى ثار
باليمن واستولى عليه وعلى الحجاز ، داعية له الى مصر
فأجابه نفر من بنى تميم ، وبايعوا له . ولكن الحوثر
فطن اليهم فاستخرجهم وقتلهم .

ونذكر مما حدث لدحية بن المعصب في الكلام عن
الحزب الاموي ، أن الخوارج كانوا مسيطرين على الواحات
فالكندي يقول في وصف التجاء دحية اليهم : « مضى دحية
على حامية ، في طائفة معه ، الى طريق الواحات . فبعث
الى أهلها يدعوهم الى القيام معه ، وكانوا . . يتدينون
بالشراية ، فقالوا : لا نقاتل الا مع أهل دعوتنا . فبعث
اليهم دحية : « انا على مذهبكم » . فخرجوا اليه وقاتلوا
معه يوم الدير . . ووجد أهل الواحات على دحية في اثارته
العرب على الموالي وتقديمهم على البربر ، فقالوا له : هذا
ظلم الاسلام واحد . ولسنا نقاتل معك حتى نمتحنك
بالبراءة من عثمان ، فامتنع دحية وقال لهم : والله
ما أرجو الجنة الا بالرحم بيني وبين عثمان . فانصرفوا
عنه وتركوه » فكان في ذلك القضاء عليه .

وتبين لنا الأخبار السابقة أن العلويين المصريين لم
ينشقوا الى شيعة وخوارج كما حدث في العراق ، وانما
استمروا على هواهم العلوي . ولم يظهر بين المصريين
كثيرون ممن يرون رأى الخوارج ولكن ما ان قام عبد الله
ابن الزبير بشورته ، التي اعتمد فيها بعض الوقت على
تأييد الخوارج ، حتى دخلت جماعة كبيرة منهم مصر
لضمها الى سيطرة ابن الزبير . وكان ذلك اول عهد
المصريين بنفوذ الخوارج . فلما قضى الامويون على ثورة
الزبيريين والخوارج بمصر ، ووليها عبد العزيز بن مروان
مدة طويلة ، وأطلقت يده في تصريف شئونها ، استطاع

أن يوطد دعائم الحزب الأموى ، وأن يجتث بذور الخوارج
فاضطروا الى الانزواء فى البقاع المصرية النائية كالواحات
حيث يبدو أنهم عاشوا حياة مستقلة عن الحكم الاموى ،
ودون أن يسمع أحد لهم أخبارا • أما من بقى منهم فى
المدن المصرية فقلة ضئيلة ، وفى بنى تيجيب من قبائل
الوجه البحرى خاصة • وتبين لنا أيضا أن الصلة كانت
وطيدة بين خوارج مصر واليمن خاصة •



ولم تر مصر أحزابا على شىء من القبوة غير الاحزاب
الثلاثة الماضية • أما الزبيريون والعباسيون فلم يكونوا ذوى
نفوذ بمصر • فقد رأينا الأولين يستعينون بالخوارج
للاستيلاء على مصر • وبالرغم من ذلك لم يستطيعوا
الاحتفاظ بها طويلا •

وظهرت آثار الحزب العباسى عندما اختلت أمور
الدولة الأموية بانهمزام مروان بن محمد أمام جيوش
العباسيين وفراره من بلد الى بلد • فلبس السواد شارة
العباسيين أهل الحسوف الشرقى بدعوة من شرحبيل بن
مذبلقة الكلبي ، وأهل الاسكندرية بدعوة من الاسود
ابن نافع الفهرى ، وأهل الصعيد بدعوة من عبد الأعلى
ابن سعيد الجيشانى ، وأهل أسوان بدعوة من يحيى بن
مسلم • كذلك عزم جند مصر على منع مروان ان يسار
اليهم • فلما استطاع مروان دخول مصر تشاقلوا عنه

ولكنه بعث جيشا الى الاسكندرية هزم الاسود بن نافع .
وآخر الى الصعيد هزم الجيشانى . وبرغم ذلك لم يهنا
مروان بهذه الانتصارات ، لأن جيوش العباسيين دخلت
مصر وهزمته وقتلته ، وضمت مصر الى الخلافة العباسية .



وجملة القول أن المصريين شاركوا المشاركة في
نشاطهم الحزبي ، وأن هذا النشاط بدأ في مصر معاصرا
لبدئه في المشرق ، ولكن المصريين عرفوا حزبين اثنين
قويين ، هما الحزب العلوي والحزب الأموي . أما الحزب
الخارجي فلا أخبار كثيرة لدينا عنه ، فهو مجهول ، وإن
أمكن القول بأنه بسط نفوذه على البقاع المصرية النائية
واستقل بها . ويمكن القول أيضا بأن المعلومات القليلة
التي وصلت إلينا من مصدر واحد - هو كتاب الولاة
والقضاة للكندي - تمكننا من القول بأن ثورات عنيفة
قام بها هذان الحزبان المصريان ، ثورات لا تقل عنفا
عن ثورات المشاركة . ولعل أخوات لها قام بها
المصريون ، ولم يذكرها الكندي ، أو أشار إليها فيما أشار
إليه دون أن يفصل القول فيه . ويدلنا ذلك على أن مصر
لم تنعزل عن النشاط السياسي في غيرها من بلاد المشرق
وأن الأحداث الكبرى التي كانت تقع بهذه الأقطار ، كانت
تجد صداها سريعا في مصر .

الفصل الرابع

الثورات الاقتصادية

حافظ المصريون على اتصالهم بالمشاركة واستجابوا لما قاموا به من أحداث ، وكان لكل ما يقع بالشرق صدى في مصر . فما ان يظهر حزب في خارج مصر حتى يظهر مثيل له في داخلها ، وما ان تهب ثورة كبيرة في العراق أو البحرين أو الشام حتى يكون لها وقعها وآثارها في حياة المصريين . فحياة المصريين لم تكن بالمنفصلة عن حياة المسلمين في الأمصار الإسلامية الأخرى .

ولكن هذه الحياة - الى جانب اتصالها بالحياة الإسلامية عامة - كان لها جوانبها الخاصة ، كان لها ما رضى به ، وما سخطت عليه ، وما أملت أن تبلغه . فكانت هذه الجوانب الخاصة مدعاة الى رضا المصريين أحيانا وإلى سخطهم أخرى . وانعكست أحاسيسهم تلك

على حياتهم السياسية . فقاموا فى بعض الأحيان بثورات ليست صدى لثورات خارجية ، ولا موحى بها من حزب من الأحزاب التى قامت فى مصر وغيرها من أقطار الاسلام .

ولا ترجع هذه الثورات الى سبب واحد ، بل ترجع الى أسباب عدة . ولذلك نحتاج الى أن نصنفها وفقا للدوافع التى أهابت بالمصريين أن يضطلعوا بها . وأن فعلنا ذلك رأينا أكثر هذه الثورات قام لعوامل اقتصادية متنوعة ؛ ورأينا بعضها قام به أفراد ذوو طموح ، حيث أغرتهم مصر وقوتها وغناها على السيطرة عليها ، ورأينا بعضا قام به القبط لأسباب مختلفة ، ثم رأينا عدة ثورات لم تذكر المراجع التاريخية أسبابها . ولعل الأمر الطبيعى أن نبتدىء بالثورات الاقتصادية ، لأنها الأكثرية العظمى ، حتى أننا نظن أن أكثر الثورات المجهولة الأسباب كانت لعوامل اقتصادية .

ولا تذكر المراجع التى بين أيدينا شيئا من هذا اللون من الثورات فى المائة السنة الأولى من الهجرة ، ولكننا لانكاد نسير قليلا فى المائة الثانية حتى نواجه أولى الثورات . ففي سنة ١٠٧ هـ كتب صاحب الخراج الى الخليفة هشام بأن أرض مصر تحتل الزيادة فى خراجها ، فزاد على كل دينار قيراطا . فقامت الفتن والثورات فى الحوف الشرقى وحول الفسطاط ، وكان أكثر القائلين

بها من القبط بطبيعة الحال ، لأنهم أصحاب الأراضي الخراجية . ولم يستطع الوالي اخماد هذه الثورات الا بعد سفك كثير من الدماء .

ولما ولى حفص بن الوليد (١٢٤ - ١٢٧) زاد فى أرزاق الجند وفرض لهم فروضا جديدة سخية . فلما ولى حسان بن عتاهية عام ١٢٧ هـ ، أسقط هذه الفروض والزيادات . فوثب عليه الجند وقالوا : « لا نرضى الا بحفص » . وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع الخليفة مروان بن محمد ، وحاصروا حسان فى داره ، ثم أخرجوه من مصر هرا وصاحب الخراج . ثم أخرجوا حفصا من السجن وولوه مصر . واتصلوا ببعض الثائرين فى فلسطين لتوحيد كلمتهم .

ومضى حسان الى مروان وذكر له ما وقع له مع أهل مصر . وفى تلك الأثناء قدم حنظلة بن صفوان الكلبى من وفريقية ونزل الجيزة . فكتب الخليفة مروان الى أهل مصر : « أما اذ أبيتم ولاية حسان فقد أمرت عليكم حنظلة ابن صفوان » . فامتنع المصريون من ولايته وأظهروا خلع الخليفة . ومضى جيشهم فمنع حنظلة من دخول القسطنطين وأخرجته الى الحوف الشرقى ، وحاربوه فهزم . وحينما رأى الخليفة ذلك سكت عنهم بقية سنة ١٢٧ على مضض .

وفى السنة التالية عزل الخليفة حفصا عن مصر وأرسل حوثره بين سهيل الباهلى أميرا عليها . فجاء فى

جيش عظيم • واجتمع جند مصر الى حفص وسألوه أن يتولى قيادتهم ، ويخالف أمر الخليفة ، ويصد حوثة ، فأبى عليهم • وحينئذ رأى أهل مصر أن يرأسوا حوثة ويسألوه أن يؤمنهم ، والا ناصبوه القتال • فأجابهم الى ما سألوا وكتب لهم كتابا بعهد وأمان فاطمأنوا اليه • ثم بعث اليهم حوثة يستأذنهم فى المسير اليهم ودخول مصر فأذنوا له • فسار حتى نزل المسناة وبعث اليهم : « ان كنتم فى الطاعة فالقونى فى الأردية » أى بدون عدة للحرب • وبالرغم من ريبة بعضهم ، أرادوا أن يظهروا تصديقهم اياه ، فخرج اليه حفص ووجوه الجند حتى دخلوا عليه فسطاطه ، فقيدهم • وبعث حوثة الفرسان فى طلب رؤساء الفتنة ، فقبضوا عليهم كلهم أو عامتهم فضرب أعناقهم •

وفى سنة ١٦٧ ولى مصر موسى بن مصعب الخشمى ، فتشدد فى استخراج الخراج ، وزاد على كل فدان ضعف ماكان عليه أولا ، وجعل خراجا على أهل الأسواق وعلى الدواب ، ولقى الناس منه شداثد ، وارتشى فى الأحكام • فكرهه الجند وشغبوا عليه ، وثار قيس واليمانية بالحواف الشرقى وتحالفوا فيما بينهم عليه • وكاتبوا أهل الفسطاط من الجند يرغبونهم عنه ، فتعهدوا لهم أن ينهزموا عنه اذا خرج لقتالهم • وعندما التقوا بالغرياء ونشبت الحرب فعلا ، تفرق عنه جنده من أهل الفسطاط • فبقى فى طائفة قليلة ، فأطبق عليه أهل الحواف وقتلوه فى شوال ١٦٨ هـ • ولم تنطفى نيران هذه الثورة الا حين أتى الوالى الجديد •

الفضل بن صالح العباسي جرارة معه من المشرق .
وفي سنة ١٧٣ ولى عمر بن غيلان خراج مصر فشدد
على الناس وعلى أهل الخراج ، وأخر أعطيات الجند .
فنفرت منه القلوب ، وثار عليه الجند ، وحصلوه في داره .
ثم أخرجوه وعلبوه ودخنوا عليه حتى دفع اليهم أعطياتهم .
ويبدو أن الوالى خاف الفتنة ، فلم يدافع عنه . فلما بلغ
الخليفة هارون الرشيد الخبر هاله الأمر ، فعزل الوالى .
وأرسل ابراهيم بن صالح لخراج الفرق التى اشتركت
فى الفتنة من الجند من مصر . فأخرجهم من القسطنطينية الى
المغرب والمشرق ، وسير منهم جماعة فى البحر الى الشام ،
فظفرت بهم الروم فأسرتهم .

وفى ولاية اسحاق بن سليمان (١٧٧ - ١٧٨)
زاد الوالى الخراج على الزارعين زيادة أجحفت بهم . فخرج
عليه أهل الحوف واستعدوا لقتاله . فأرسل اليهم جيشا
فهزموه وقتلوا قائده . فكتب الوالى الى هارون الرشيد
يخبره بذلك . فغضب وأرسل جيشا عظيما تحت قيادة
هرثمة بن أعين . فلما رأى أهل الحوف ألا قبل لهم
بجيشه ، طلبوا الصلح وأدوا الخراج .

وفى ولاية الليث بن الفضل ، أراد الليث أن يزيد
الخراج ، فبعث مساحا لمسحون الاراضى المزروعة ، وأمرهم
بأن ينتقصوا القصبه أصابع . فتظلم الناس اليه فلم
يسمع منهم . فثار أهل الحوف واستعدوا للقتال وتقدموا
نحو القسطنطينية . فخرج اليهم الليث بن الفضل فى أربعة

آلاف من جند مصر فى ٢٨ شعبان ١٨٦ هـ . فالتقوا فى أرض جب عميرة ، فانهزم الجند عن الليث ، وبقى هو فى نحو المئتين من أصحابه فحمل بهم على أهل الحوف حملة صادقة هزمهم فيها . فتولوا وتبع أقفيتهم فقتل منهم خلقا كثيرا ، وبعث الى الفسطاط ثمانين رأسا .

ورجع الليث الى الفسطاط . ورجع أهل الحوف الى منازلهم ومنعوا خراجهم . فخرج الليث الى هارون الرشيد فى المحرم من عام ١٨٧ هـ . وعرفه الحال ، وشكاه من منع الخراج ، وسأله أن يبعث معه بالجيش ، فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الحوف الا بجيش . فتصدى له محفوظ بن سليمان وضمن للرشيد أن يجبى الخراج عن آخره بلا سوط ولا عصا . فولاه الرشيد الخراج ، وعزل الليث عن امرة مصر .

وفى ولاية الحسين بن جميل (١٩٠ - ١٩٢) ، تشدد الوالى فى الخراج . فخرج عليه أهل الحوف الشرقي وامتنعوا من أداء الخراج . وخرج عليه أيضا أبو النداء البلوى بأيلة فى نحو ألف رجل . فقطع الطريق وأخاف السبل . وتوجه من أيلة الى مدين ، وأغار على بعض قرى الشام . ثم انضم اليه من جذام وغيرها جماعة كبيرة ، وبلغوا مبلغا عظيما من النهب والسلب والقتل . فلما بلغ الرشيد أمره ، جهز اليه جيشا من بغداد لقتاله . وبعث الحسين بن جميل جيشا آخر ، فالتقى الجيش المصرى بأبى النداء وصحبه بأيلة ، واقتتلوا فانتصر جيش الوالى ،

وهزم أبو النداء وأسر . وعند ذلك وصل جيش الخليفة
الى بلبيس فى شوال ١٩١ هـ . فلما رأى أهل الحوف
أن أبا النداء قد أسر . وعند ذلك وصل جيش الخليفة
الى بلبيس فى شوال ١٩١ هـ ، فلما رأى أهل الحوف أن
أبا النداء قد أسر ، وأن جيش الخليفة صار فى ديارهم ،
أذعنوا بالطاعة وأدوا الخراج .

وعزل الخليفة الحسين بن جميل وولى مكانه مالك
ابن دلهم الكلبى . وأمر الخليفة قائد جيشه الذى أرسله
من بغداد بالعودة من مصر . فكتب القائد الى أهل الحوف
يطلب اليهم القدوم الى الفسطاط ليتوسط بينهم وبين
الوالى الجديد فى الخراج ويوصيه بهم . فجاءه رؤساؤهم
ودخلوا داره ، وكان قد أعد لهم القيود . فأمر بالأبواب
فأغلقت ودعا بالحديد فقيدهم ، وخرج بهم فى رجب ١٩٢
هجريه .

ولما ولى الحسن بن التختاخ مصر ، وتوفى الرشيد ،
وتولى المأمون ، وزع هذا الوالى العطاء ثلثا عينا ، وثلثا
بزا ، وثلثا قمحا ، ف وقعت فتنة ، واصطدم أهل مصر
بالجند ، وقتل جماعة من الفريقين . ثم لما جمع الخراج
أرسله الى عاصمة الخلافة . فلما صارت الأموال بفلسطين،
خرج عليها أهل الرملة ، وقالوا : « هذا عطاؤنا قد ساقه
الله الينا » . فأخذوا من ذلك المال عطاءهم ثم أدخلوا
الباقى منه بيت المال .

ولما ولى حاتم بن هرثمة مصر ١٩٤ هـ ، قدم فى ألف

رجل ، ونزل ببلييس ، فصالحه أهل الحوف على أداء
الخراج . ولكنهم مالبثوا أن نقضوا صلحهم وتاروا عليه
واجتمعوا على قتاله . فبعث اليهم جيشا قاتلهم وأحمد
ثورتهم . وانتقل حاتم من بلييس الى الفسطاط في شوال
١٩٤ ، ومعه مائة من الرهائن من أهل الحوف .
وولى المعتصم (وكان واليا لمصر في عهد أخيه المأمون)
صالح بن شيرزاد الخراج ، فظلم الناس وزاد الخراج
وعسف . فانتقض عليه أهل الحوف واجتمعوا وعزموا على
قتاله . فبعث عيسى بن يزيد الجلودى والى مصر ابنه فى
جيش لنصرة صاحب الخراج . فلقى أهله الحوف فى
بلييس فى صفر ٢١٤ هـ ، فهزموه وقتلوا أصحابه ،
ونجا هو هاربا . فلما بلغ الخبر المعتصم عظم عليه وعزل
الوالى ، وولى عوضه عمير بن الوليد التميمى . فاستعد
عمير للحرب ، وأراد التفريق بين القيسية واليمانية من
أهل الحوف ، فأرسل الى القيسية عبد الله بن حليس
الهلالى ليردهم الى الطاعة ويبعدهم عن اليمانيين . ولكن
ابن حليس انضم اليهم وزادهم تحريضا على الوالى ، حتى
جعلوه رئيسا عليهم . فسار اليهم عمير فى جيوشه ،
وتبعه جيش آخر على رأسه عيسى الجلودى . وأرسل
المأمون رجلين : أحدهما للقيسية ، والثانى لليمانية ،
ينصحانهم ويرغبانهم . فلم ينههم ذلك عن الحرب ، وزحفوا
الى عمير . فالتقوا بمنية مال الله فكاثت بينهم وقعة هائلة .
وقتل من أهل الحوف جماعة فتظاهروا بالفرار ، فتبعهم

عمير في نفر من أصحابه • فعطف عليه كمين لأهل الحوف،
فقتلوه •

وولي مصر عيسى بن يزيد الجلودى ثانية • فتقابل
هو وأهل الحوف الذين كان قد كثر عددهم بعد انتصارهم
السابق بمنية مطر (مطرية عن شمس) فكانت بينهم
وقعة • ثم انصرف أهل الحوف على حامية ، ومضى الجلودى
حتى نزل نوية فخندق على نفسه • وأقام أياما ، فأتاه
أهل الحوف في جمع هائل انزل الرعب في قواده • فبقى
الى أن غطاه الليل ، ففر منهزما الى الفسطاط ، بعد أن أحرق
كل ما ثقل من متاعه ، في رجب ٢١٤ هـ •

وبلغ المأمون ذلك فعظم عليه الأمر ، فطلب أخاه
المعتصم - وكان شجاعا مقداما - وندبه للخروج الى مصر •
فخرج من بغداد في أربعة آلاف من أتراكه ، وسافر حتى قدم
مصر في أيام يسيرة ، وعيسى الجلودى كالمحصور • فلم يشعر
أهل الحوف الا بنزوله بين أظهرهم • فراسلهم ودعاهم
الى الطاعة فامتنعوا • فقاتلهم في شعبان ٢١٤ هـ ، فقاتلهم،
وقتل أكابرهم ، ووضع السيف في القيسية واليمانية حتى
أفناهم •

ونصب المعتصم عبدويه بن جبلة واليا على مصر ،
ثم غادرها • فما لبث أن خرج عليه بالحوف بنو لخم وجماعة
من القيسية واليمانية في شعبان ٢١٥ هـ فتهيأ عبدويه
لمحاربتهم وجهز اليهم جيشا فسار اليهم وحاربهم وظفر
بهم بعد معارك •

ثم ثار الوجه البحرى كله: خوفاء الشرقى والغربى،
وعربه وقبطه ، على الوالى الجديد عيسى بن منصور فى
جمادى الأول ٢١٦ . وأخرج الثائرون العمال وأعلنوا
العصيان . فجاء الأفشين قائد الخليفة فى جيش من برقة
فى منتصف جمادى الآخرة لخمسة الثورة ، ولكنه لم
يستطيع بسبب الفيضان . وبعد الفيضان خرج هو وعيسى
ابن منصور لقتالهم ، فالتقيا مع جماعة منهم بأشليم (من
مركز قويسنا بمديرية المنوفية) فهزماهم وأسرا منهم
كثيرا فقتلهم . ورجع عيسى بن منصور الى القسطنطينية ،
ومضى الأفشين الى الحوف لاختصاص أهله . وثار
الاسكندرية على واليها وحصره بنو مدلج فى حصنها فى
شوال ٢١٦ هـ . فمضى الأفشين الى شرقىون فلقى من
هناك بمحلة أبى الهيثم ، فاقتتلوا ، وكان النصر من نصيب
الأفشين . ثم مضى الى دميرة (من مركز طلخا بمديرية
الغربية) فحارب أهله فى ذى القعدة وهزمهم . وأقبل
الأفشين فى جنوده الى الاسكندرية ، فلقيته طائفة من بنى
مدلج بخربتا فهزمهم . ثم واجهوه بمحلة الخلفاء فهزمهم
وأسر أكثرهم ، فقتلهم بقرطسا من دمنهور . ثم أتى
الاسكندرية فاستطاع أن يدخلها فى ذى الحجة . وبعد
أن استقرت أحوالها مضى الى أهل البشرو (الساحل
الشمالى للدلتا) فواقف أهلها مدة .
وخرج عيسى بن منصور من القسطنطينية الى ما حولها
من بلاد تائرة ، فقاتل أهلها ، وهزمهم . ولكن الحروب

بقيت مستمرة سجالات . فاضطر المأمون أن يقدم بنفسه
في المحرم ٢١٧ هـ : فعزل عيسى بن منصور وجهاز الجنود
لاخماد الثورات الناشئة في كل مكان . فأرسل جيشا
الى الصعيد ، قاتل الثائرين بطحا وتغلب عليهم . وأرسل
آخر الى البشروء ، انضم الى الأفشين ، وأوقع الهزيمة
بالقبط هناك . واستطاع بعد عدة معارك أن يعيد الهدوء
الى جميع الأرجاء المضطربة .

وعندما تولى المعتصم الخلافة ، أرسل الى كيدر بن
عبد الله والى مصر يأمره بأسنقاط من فى الديوان من
العرب وقطع العطاء عنهم . ففعل كيدر ذلك . فخرج
يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لحم وجذام ، وقال :
لا نقوم فى أفضل منه لأنه منعنا حقنا وفيأنا . فأجابه نحو
خمس مائة رجل . فتجهز كيدر لحربهم . ولكنه توفي
قبل ذلك فى ربيع الآخر ٢١٩ هـ ، وولى بعده ابنه مظفر .
فتهاى لقتال الجروى وحشد الجند والعساكر . وخرج
من القسطنطينية وتقدم حتى التقيا فى بحيرة تنيس (المنزلة
الآن) . فحدثت بينهما موقعة هائلة انكسر فيها الجروى
وأسر ، وتفرق أصحابه ، فى جمادى الأولى .

ولكن الفتن والاضطرابات استمرت فى الشطر الأول
من ولاية موسى بن أبى العباس (٢١٩ - ٢٢٤) . وخاصة
فى الحوف الشرقى . ثم سكنت الشرور والفتن بأخر
أيامه .

وانتظمت أحوال مصر الاقتصادية أيام الطولونيين ،
فهدأت البلاد ، وعمت الثورات الاقتصادية . ولكن ما ان
سقطت دولة الطولونيين حتى استعرت الفتن من جديد .
ظهر ذلك أيام الخليفة الذى دعا بدعوتهم وحكم مصر
شهورا قلائل ، وفى عهد سلفه عيسى النوشرى . فقد
توفى فى عهده الخليفة المكتفى وبويع المقتدر . فشغب بعض
جند مصر على النوشرى ، وطلبوا منه مال البيعة للمقتدر ،
وحاربوه . فظفر بهم وأخرجهم من مصر .

وفى سنة ٣١٠ شغب الجند على هلال بن بدر والى
مصر فى أرزاقهم ، وخرجوا الى منية الاصبغ . وانضم اليهم
جماعات من المشاة والفرسان ورجال البحرية والمصريين
المدنيين . فلما بلغ هلالا أمرهم تهيأ وتجهز لقتالهم . فجمع
من بقى من جند مصر ، وطلب المقاتلة ، وأنفق عليهم
الأموال ، وضمهم اليه . ثم خرج بهم وحواشييه الى أن
وافى الثوار وقاتلهم أياما عديدة . وطال الأمر فيما بينه
وبينهم ، ووقع له معهم حروب ، وكثر القتل والنهب
بينهم ، وفشا الفساد ، وقطع الطريق . وضعف هلال
عن اصلاح أحوال مصر ، فصار كلما سد أمرا انخرق عليه
آخر ، فكانت أيامه على مصر شر أيام . ولما تفاقم الخطب
عزله الخليفة بالأمير أحمد بن كيغلق سنة ٣١١ هـ .

فأقبل ابن كيغلق ومعه محمد بن الحسين الماذرائى
على الخراج . فنزلا منية الاصبغ ، فأحضرا الجند ، ووضعوا

العطاء ، وأسقطا كثيرا من المشاة • فشغبوا عليهما ، ففر ابن كيغلق الى فاقوس ، وعزم الماذرائي على التوجه الى الشام ، فخرج اليه الجند وأبقوه في الفسطاط •

واستمر الاضطراب الى أن اضطر الخليفة الى تنصيب تكين واليا على مصر ، وكان كارها لولايته ، استرضاء للجند ، ومخافة أن ينتهز الفاطميون في المغرب الفرصة ويستولوا على مصر • فلما استقرت امرته ، أسقط كثيرا من الجند الذين كان أثبتهم هلال بن بدر ، ونادى فيهم ببراءة الذمة ممن أقام منهم بمصر • فخرجوا جميعا وقد عقدوا العزم على قتله • ولكن تكين كان على علم بنيتهم ، فتهيا لقتالهم أيضا وجمع عساكره • فلم يستطع الجند أن ينالوا منه مرامهم •

وفي ٣٢١ هـ ثار الجند على محمد بن علي الماذرائي - وكان قائما بأمر مصر كله - في طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله • ووقعت فتنة عظيمة وحروب قتل فيها جماعة كبيرة من المصريين • ودامت الفتنة الى أن قدم محمد ابن تكين الى مصر في جمادى الاولى ٣٢٢ هـ • فظهر الماذرائي وأنكر ولاية ابن تكين على مصر • فتعصب لمحمد جماعة من المصريين ودعى له بالامارة على المنابر • وانقسم الناس فرقتين : فرقة تنكر ولاية ابن تكين وتثبت ولاية ابن كيغلق ، وأخرى تتعصب لابن تكين وتنكر ولاية ابن كيغلق • ووقع بسبب ذلك فتن وحروب بالوجه البحري

والصعيد ، الى أن أقبل ابن كيغلغ ونزل بمنية الاصبغ .
فلحق به كثير من أصحاب ابن تكين فقوى أمره بهم . فلما
رأى ابن تكين أمره في ادبار ، فر ليلا من الفسطاط ودخلها
ابن كيغلغ . ولكنه لم يهنأ بهذا ، اذ عاد اليه ابن تكين
ثانية ، واشتبكا في نزاع حربي كان له النصر الأخير
فيه . ومالبت أن عزل وولي مصر محمد بن طغج الأخشيد ،
الذي أسس الدولة الاخشيديّة ، فهدأت اضطرابات مصر
الاقتصادية ، وسكنت أحوالها ، وازدهرت أمورها .

ويتضح مما سبق أن مصر بقيت هادئة طوال العصر
الأموي ، فلم تعرف الاضطرابات ولا الثورات الاقتصادية ،
ولكن ما ان أظلمها العهد العباسي حتى كثرت الثورات
وتعددت وخطر أثرها ، فلم يكن يمر عام أو عامان حتى
تقوم ثورة سببها زيادة الخراج أو منع العطاء أو التحايل
في استخراج أموال الأهالي ، أو فرص ضرائب جديدة ،
وتلاحقت الثورات الاقتصادية الكبيرة . ولم تسترح مصر
من هذا اللون من الثورات الا في عهود الاستقلال تحت
ظل الطولونيين ثم الاخشيديين . وقام ببعض هذه الثورات
الجند دون أن يتدخل المدنيون ، وتدخلوا في بعضها بعد
أن بدأها الجند . واشترك في بعضها الآخر المسلمون
والأقباط ، وخاصة الثورات التي قامت بسبب فرض
ضرائب جديدة أو بسبب زيادة الخراج .

الفصل الخامس

الثورات القبطية

اشتهر بين دارسى التاريخ المصرى أن المصريين كانوا يكرهون الرومان البيزنطيين ، وأنهم أو كثيرا منهم رحب بالغزو الاسلامى أو ارتاح له . فقد كان البيزنطيون من أتباع المذهب الملكانى من مذاهب المسيحية ، وكان المصريون من أتباع المذهب الإيعقوبى . وأراد الأولون أن يفرضوا مذهبهم على رعاياهم جميعا ، على حين أصر المصريون على مذهبهم وأبوا التحول عنه مهما لاقوا من وجوه الاغراء أو صنوف التعذيب .

وهذه صورة تصور حال المصريين فى تلك الأيام ، وهرقل امبراطور على البيزنطيين ، والمقسوقس بطريك ملكانى على مصر ، وبنيامين بطريك يعقوبى هارب من كرسيه فى الاسكندرية ومشرد فى بقاع مصر النائية ،

ويقدم هذه الصورة أحد أساقفة الكنيسة القبطية :
ساويرس بن المقفع ، في كتابه سيرة البيعة المقدسة .
قال ، مع غض النظر عن لغته العربية السقيمة :

« وعظم البلايا والضيق الذي أنزلهم على الأرثذكسين
وغواهم لكي يدخلوا معه في أمانته حتى ضل جماعة لا
يحصى عددها ، قوم بالعذاب ، وقوم بالهدايا والتشريف ،
وقوم بالسؤال ، حتى ان قيرس أسقف بنيقيوس وبقطر
أسقف الفيوم وكثير خالفوا الأمانة المستقيمة الأرثذكسية ،
ولم يسمعوا قول الأب المغبوط بنيامين فيختفوا مثل غيرهم
فصادهم بصنارة ضلالتة ، وضلوا بالجمع الطمث
الخلقدوني .

« ثم ان هرقل ظفر بالأب المغبوط مينا أخى الأب
بنيامين . فأنزل عليه بلايا عظيمة ، وأطلق المشاعل بالنار
في أجنابه حتى خرج شحم كلاه من جنبه وسال على
الأرض ، وقلعت أضراسه وأسناناه باللحم على الاعتراف
المستقيم . وأمر أن يملأ مزواد رمل ، ويجعل القديس
مينا فيه . وأخرج أكثر من سبع غلوات ، وأنزل في الماء
ثلاث دفعات . . . وغرقوه .

« ثم انه أقام أساقفة في بلاد مصر كلها الى أنصنا .
وكان يبلى أهل مصر بأمور صعبة ، وكان كشبه الديب
الخاطف يأكل القطيع ولا يشبع .

« وفي تلك الايام نظر هرقل مناما: وكان من يقول له:
ان أمة تأتي عليك مختونة وتغلبك وتملك الأرض ، فظن
أنهم اليهود ، فأمر أن يتعمدوا جميع اليهود والسامرة في
جميع الكور الذي سلطانه عليهم . وبعد أيام يسيرة ثار
واحد اسمه محمد ، فرد عباد الأوثان من العربان الى
معرفة الله : أنه واحد ، وأن يشهدوا ويقولوا : ان محمدا
رسوله . وكانت أمة مختونة بالجسد ، غلف القلوب ،
ولهم ناموس يصلوا قبل شرقى الى موضع يسمى الكعبة .
وملك محمد هذا وصحبه دمشق والشام وعبر الأردن وبين
النهرين . . . وكان الرب يخذل جنس الروم قدامه لأجل
أمانتهم الفاسدة .

« فكم مات من الناس في التعب الذي كانوا يقاسوه
لما تمت العشرة سنين من مملكة المقوقس وهرقل ، وهو
يطلب الرسولى الأب بنيامين ، وهو هارب بين يديه من
مكان الى مكان ، وهو فى البيع المخفية .

« فأنفذ ملك المسلمين لما ذكروه أصحابه بحال الاب
البطريك بنيامين : أميرا ومعه سرية الى أرض مصر ، اسم
ذلك الأمير عمرو بن العاص ، فى سنة ثلاث مائة وسبعة
وخمسين لدقلطيانوس ، فى اليوم الثانى عشرين من بؤونة .
ونزل عسكر الاسلام الى مصر بقوة عظيمة ومقدمه عمرو الامير
ابن العاص ، وهدم الحصن ، وأحرق المراكب بالنار ، وأذل
الروم ، وملك بعض الكورة . وكانت أمته محبة للبرية ،
فأخذوا الجبل الى أن وصلوا الى قصر مبنى حجارة بين الصعيد

والريف يسمى بابلون • فضربوا خيامهم هناك لكي يترتبوا
لملاقاة الروم ومحاربتهم • • وبعد قتالهم ثلاث دفعات غلبوا
المسلمون •

فلما نظروا رؤساء المدينة هذه الامور مضوا الى عمرو
ابن العاص الامير ، وأخذوا منه أمانا على المدينة لكيلا تنهب •
ولذلك مسكوا أيديهم عن الكور ، وأهلـكوا عسكر الروم
وبطريقهم المسمى أريانوس • ومن سلم منهم هرب •

فأما سانوتيوس المؤمن المسيحي فعرف عمرا بسبب
الأب المعروف بنيامين ، وأنه هارب خوفا من الروم • فكتب
الى أعمال مصر ، يقول : « الموضع الذي فيه بنيامين رئيس
النصارى ، له الهدى والأمان والسلام من الله ، فيحضر
ويدبر حال بيعته » • فلما سمع هذه الاخبار الشجاع
بالحقيقة عاد الى الاسكندرية بفرح بعد ثلاث عشرة سنة ،
منها عشرة لهرقل ، وثلاث سنين للمسلمين قبل فتحهم
الاسكندرية ، لابس لأكليل الصبر وعظم الجهاد الذي كان •
فلما ظهر للشعب فرحوا جميع المدينة، وعرفوا سانوتيوس
التكس الذي قاله لهم ، وقرر مع الأمير احضاره ، فمضى
وعرف الأمير عمرا بوصوله • فأمر باحضاره بكرامة ومحبة •
فلما نظر اليه التفت الى مقدميه ، وقال لهم : « ان في الكور
التي ملكناها الى الآن لم أشاهد رجلا لله يشبه هذا الرجل » •
وكان منظره حسن جدا • ثم التفت اليه وقال له : « جميع
بيعتك ورجالك اضبطهم ، واذا ما صليت على حتى أمضى الى
الغرب والخمس مدن ، وأملكها مثل مصر ، وأعود اليك

بسرعة ، وكل ما تطلبه منى أفعله لك » . . ثم انصرف من عنده مكرما .

ولما جلس هذا الروحاني الأب المعترف بنيامين على بيعته بنعمة الرب يسوع المسيح دفعة أخرى ، جذب اليه أكثر من خجلهم (جعلهم) هرقل مخالفين ، وكان يعيدهم بسكينة ووعظ ويعزيهم . وكثير ممن هرب الى الغرب والخمس مدن من ذلك الكافر ، لما سمعوا عادوا ونالوا اكليل الاعتراف . وكذلك الاساقفة الذين خالفوا دعاهم ليعودوا الى الامانة الارثوذكسية ، فمنهم من عاد بدموع غزيرة ، ومنهم من خاف من فضيحة الناس فأقام على كفره الى أن مات .

وبعد ذلك سار عمرو من الاسكندرية وعسكره ، وعدى معه المقدم سانوتيوس المحب للمسيح . . وكانت أعمال الارثوذكسين تنمو يوما فيوم . وكانت الشعوب فرحين مثل العجايل الصغار اذا أطلقوا من الرباط على ألبانهم . فلما دخل عمرو الى مصر وخرج منها ومضى الى الغرب ، أدركته معونة عظيمة .

نقلت هذا النص من التاريخ الرسمي للكنيسة القبطية المصرية لدلالته على عدة أشياء : فظاعة اضطهاد البيزنطيين للمصريين حتى وصفهم الاخرون بالضلال وفساد الامانة بل والكفر ، وتمنوا التخلص من نيرهم حتى قصوا الرؤى المبشرة بقدوم المسلمين لتحريرهم ، ووصف المسلمين بمحبة الناس جميعا ، وعدم نهيبهم القرى ، ثم الفرح الذي عم القبط بعودة

بطريقهم ، ومنحه السلطة ، حتى استطاع أن يعيد من اضطر
الى الانحراف ، وما تلا ذلك من غبطة ومرح ، وأخيرا ملازمة
بعض الاقباط لجيش المسلمين واعانتهم معونة عظيمة .

ويكفينى هذا النص مثنونة اللجوء الى نصوص أخرى
ذكرها رجال من المسيحيين المصريين وغير المصريين ، وتصرح
بأشياء مما يتصل بما فى النص السابق . ولكنى اورد هنا
أقوالا من مصدر اسلامى قديم تؤيد الاقوال السابقة . قال
المؤرخ المصرى ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر والمغرب ،
ويعتبر أقدم كتاب مصرى يعالج التاريخ المصرى الاسلامى :
« فخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم
الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وقد أصلحوا
لهم الطرق ، وأقاموا لهم الجسور والاسواق ، وصارت لهم
القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم . . ثم فتح الله
للمسلمين ، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة ، واتبعوهم
حتى بلغوا الاسكندرية . فتحصن بها الروم ، وكانت عليهم
حصون مبنية لا ترام ، حصن دون حصن . فنزل المسلمون
ما بين حلوة الى قصر فارس الى ما وراء ذلك ، ومعهم رؤساء
القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة » .
طبيعى بعد هذا كله أن يرضى أقباط مصر عن الحكم
الجديد ، وأن يرضى عنهم ، وخاصة أن المسلمين لم يتدخلوا
فى الامور الدينية للقبط ، وتركوا التنظيم المالى على ما كان
عليه أيام الرومان ، بل كان جل المشرفين عليه ان لم يكن
كلهم من القبط ، ويجرى باللغتين القبطية واليونانية .

وبقي هذا الرضا القرن الهجرى الاول كله . ولكن ما ان بدأ القرن الثانى حتى بدأت سلسلة متصلة من الثورات التى قام بها الاقباط وجدهم أحيانا ، واشترك معهم العرب فى بعضها الآخر . وأكثر هذه الثورات بسبب الخراج ، لا بسبب الشعور الوطنى أو الدينى .

ففى عام ١٠٧ هـ ، أراد عبيد الله بن الحبحاب ، صاحب خراج مصر ، أن يتقرب الى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فكتب اليه ان أرض مصر تحتل الزيادة فى الخراج ، وزاد فعلا على كل دينار قيراطا . فثار أهل تنو وتمى وقريط وطرابية ، وعامة الحوف الشرقى . فبعث اليهم والى مصر بجيش كبير حاربهم ، وقتل منهم بشرا كثيرا . وكان ذلك أول انتفاض القبط بمصر .

وفى عام ١٢١ هـ ، ثار القبط على عمالهم وحاربوهم ، فأرسل اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر أهل الديوان ، فقتلوا منهم ناسا كثيرا ، وظفروا بهم .

وفى عام ١٣٢ هـ ، خرج رجل من القبط يسمى يحيى بسمند ، وجمع حوله جيشا عزم على أن يقاتل به أمير مصر عبد الملك بن مروان . فبعث اليه الأمير جيشا استطاع أن يهزمه ويقتله فى جمع كبير من أصحابه .

وفى السنة نفسها ، ثار القبط برشيد على الخليفة مروان بن محمد ، وكان قد دخل مصر فارا من العباسيين . فأرسل اليهم جيشا تمكن من اخماد ثورتهم . .

وفي عام ١٣٥ هـ ، ثار القبط بسمنود ، تحت زعامة
أبومينا ، فبعث اليهم الوالى جيشا حاربهم وقتلهم وأحمد
ثورتهم .

وفي عام ١٥٠ هـ ، ثار القبط بسخا ، ونابدوا عمالهم
وطردوهم . ثم ساروا الى شبرا سنياط ، وانضم اليهم
أهل البشرود ، والأوسية ، والبجوم . فأتى الخبر يزيد
بن حاتم المهلبى أمير مصر . فعبا جيشا كثيفا من أهل
الديوان وبعثه لمقاتلتهم . فبيتهم القبط وأخذوهم على غرة ،
فهزموهم ، وقتلوا بعض كبرائهم . فاضطر الباقون الى
القاء النار فى عسكر القبط لشغلهم عنهم . فلما فعلوا ،
انصرف الجيش المهزوم الى الفسطاط . واذا وصلت الأنباء
مسامع الخليفة ، هاله الأمر وعزل أمير مصر ، وولى مكانه
موسى بن على بن رباح .

وقضى الوالى الجديد على الثورة ، ولكن الاقباط قاموا
بثورة جديدة . فى عام ١٥٦ بمدينة بلهيب . فأرسل هذا
الوالى الجند اليهم ، فتمكنوا من اخماد الثورة ، وقتلوا
جماعة من القائمين بها ، وعفوا عن جماعة .

وهدأت أحوال القبط مدة طويلة الى عام ٢١٦ ، حيث
قامت الثورة الكبيرة فى مصر . فقد عاث عمال أمير مصر
عيسى بن منصور فسادا فى أرجاء مصر . فثار أهل الوجه
البحرى جميعا : مسلمون وأقباط ، فى جمادى الأولى .
وأعلنوا العصيان وطردوا العمال . وحشد المصريون

وجمعوا ، فكثر عددهم ، وساروا لمقاتلة أميرهم . فتجهز عيسى ، وجمع العساكر والجند ، ثم هابهم وضعف عن لقائهم وتقهر بمن معه . فازداد المصريون حماسة ، وتقدموا الى الفسطاط ، وأخرجوا عيسى منها ، وطرده هو وصاحب الخراج على أقبح وجه .

ولما بلغت الأنباء الخليفة المأمون ، أمر قائده الأفشين - وكان في برقة حينئذ - أن يهاجم المصريين من الغرب . فأتى في جمادى الآخرة ، وأقام بالفسطاط لأن فيضان النيل اذ ذاك حال بينه وبين قتال المصريين . ثم خرج لشن الحرب في شوال ، وانضم اليه عيسى بن منصور الأمير المطرود ، فكثر عددهم واستعدوا أحسن الاستعداد للقتال . وبدءوا بمقاتلة أهل تنو وتمى ، وكانوا مجتمعين بأشليم ، فهزموهم وأسروا منهم كثيرا ، فقتلهم الأفشين . وعند ذلك طلب الأفشين الى عيسى أن يرجع الى الفسطاط ليضبط أمورها وأمور بقية مصر . ومضى هو الى أهل الحوف ، فقاتلهم وبدد جمعهم ، وأسر منهم جماعة كبيرة .

ومضى الأفشين الى شرقيون من المحلة الكبرى ، فلقى الثائرين بمحلة أبى الهيثم . فاقتتلوا فظفر الأفشين وقتل قائد الثوار . ثم مضى الى دمية فقاتل أهلها فى ذى القعدة وظفر بهم . وفى هذه الأثناء ، خرج عيسى بن منصور الى أهل تمى وهزمهم .

ومضى الأفشين الى الاسكندرية ، فلقى طائفة من بنى مدنج بخربتا ، فحاربهم وهزمهم . ثم لقي طائفة أخرى

بمحلة الخلفاء ، فهزمهم وأسر أكثرهم ، ثم ضرب أعناقهم
وأخيرا استطاع دخول الاسكندرية فى ذى الحجة •

وبعد فتح الاسكندرية ، خرج لقتال أهل البشروود أو
البشموريين ، فلم يستطع أن يتغلب عليهم • وبقيت الحروب
سجالا ، لأن المنطقة التى يسكنونها ، وهى الطرف الشمالى
من الدلتا ، كثيرة المياه والغياض والمستنقعات والوحول ،
ولا يعرف طرقها الا أهلها • وحاول البطريق أن يتوسط
بين الطرفين ويعيد الهدوء الى نصابه • قال ساويرس بن
المقفع فى تاريخه :

« ولما نظر أبونا البطرك أنبا يوساب ، حزن على أولئك
الضعفاء لأنهم لا يقدرّون على مقاومة السلطان ، وأنهم
باختيارهم اختاروا الهلاك لنفوسهم • فبدأ المهتم بخلاص
شعبه الامين بالحقيقة ، وكتب اليهم كتابا مملوءة خوفا ،
ويذكر لهم ما يحل بهم ليعودوا ويندموا ويرجعوا عن خلافهم
ويدعوا مقاومة السلطان ، فلم يرجعوا • فلم يفتر من
مكاتبتهم كل يوم • وكان يكتب اليهم فصولا من الكتب ،
ويقول : « قال لسان العطر بولس : كل من يقاوم السلطان
فهو مقاوم حدود الله ، والذى يقاومه يدان » • ولما وصلتهم
كتب البطرك مع أساقفته ، نظروا أولئك الاشرار الآباء
الأساقفة ، ووثبوا عليهم ونهبوا كل ما معهم وأهانوهم •
فعادوا الى البطرك وعرفوه ما جرى عليهم • فقال : « ما يبطل »
عن هؤلاء الهلاك بل يتم عليهم ما قاله النبى اشعيا : الى

أسلمكم للسيف ويقع جميعكم بالقتل لأنى ناديتكم فلم
تسمعوا كلامى ، وخالفتم وفعلتم الشر أمامى . »

ولما تحقق الافشين من تصميمهم على القتال ، وعدم
قدرته على النصر السريع عليهم ، طلب العون من الخليفة
المأمون . فأتى بنفسه على رأس جيش كبير . ثم أخذ يبعث
البعوث الى أرجاء القطر المصرى لاختماد الثورات القائمة فى
كل مكان . فاستطاع الجيش الذى اتجه الى الصعيد أن
يهزم الثائرين بطحا . وخرج المأمون نفسه على رأس جيش
أعاد الهدوء الى سخا . وأرسل الامداد الى الافشين . ولكنه
أراد أن يأخذ البشموريين بالحسنى أولا ، وكان قد أتى معه
ببطريك أنطاكية ليحاول أن يهدئهم ، مستعينا ببطريك
مصر .

قال ساويرس يصف التقاء البطريكين ومحاولتهما :
« فلما علم الألب البطرك أنبا يوساب بوصول المأمون ،
وصحبته بطرك أنطاكية ، جمع الاساقفة ، وسار الى قسطنطينية
مصر ليسلم عليه كما يجب للملوك . ثم عرفه أنبا
ديونوسيوس أن أبانا لم يتأخر عن مكاتبة البشموريين
وارداعهم وأن لا يقاوموا أمرى . ففرح المأمون بهذا الامر .
ثم قال للبطرك أنبا يوساب : « هوذا أمرى أنت ورفيقك
البطرك ديونوسيوس أن تمضيا الى هؤلاء القوم وتردعوهما
كما يجب فى ناموسكما ليرجعوا عن خلافهم ويطيعوا أمرى ،
فان أجابوا فأنا أفعل معهم الخير فى كل ما يطلبوه منى ،
وان تمادوا على الخلاف فنحن بريئين من دماهم » ، لفعل

آباؤنا البطركان • وساروا الى البشموريين وسألهم ثم
نصحاهم ووبخاهم ليتخلوا عن أفعالهم • فلم يجيبوا ولا
قبلوا سؤالهم • فعادوا وأعلموا المأمون بذلك » •

فلما اتصل الخبر بالمأمون ، سار بجيشه وانحدر الى
هناك ، وأمر أن يحشدوا جميع من يعرف طرق البشموريين
من أهل المدن والقرى المجاورة لهم • ودأب على مهاجمتهم
بكل قواه ، والاستماتة في حربهم ، حتى ظفر بهم وأخذ
ثورتهم •

وأراد المأمون أن يرهب المصريين ، ويبعد عنهم كل
تفكير في ثورة ، فقسا أشد القسوة على الثائرين • فقد حكم
عليهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال معتبرا إياهم
غنيمة حربية ، وتتبع كل من يوماً اليه بخلاف من المسلمين
أيضاً فقتله • ووصف ساويرس عمل المأمون بقوله :
« فهلكوهم وقتلوهم بالسيف بغير إهمال ونهبوهم ، وأخربوا
مساكنهم وأحرقوها بالنار ، وهدم بيعة • وتم عليهم قول
داود النبي في الزمور ٧٧ : أسلم قوتهم للسبي ، وماله
لأعدائهم ، وأسلم شعبه للسيف ، ولم يشفق على ميراثه •
ولما أن نظر المأمون كثرة القتلى ، أمر العسكر أن يرفع
السيف • والذي بقى منهم أسره الى مدينته بغداد من
الرجال والنساء » •

وعلى هذه الصورة الأليمة انتهت هذه الثورة العارمة التي
شملت مصر كلها • وبانتهائها انتهت ثورات القبط في

مصر ، ولم نعد نسمع عن ثورات. أخرى لهم . ويحسن بي
قبل أن أنتقل من هذه الصفحة أن أورد ما قاله ساويرس
في وصف المأمون وأسباب الثورة ، قال : « كان متولى
الخراج فى ذلك الزمان رجلين ، أحدهما اسمه أحمد بن
الأسبط ، والآخر إبراهيم بن تميم ، هذين مع ماكانوا الناس
عليه من البلى لا يدعو طلب الخراج بغير رحمة ، وكانوا
الناس فى ضيق زايد لا يحصى ، وأصعب ماعليهم مايطلبوه
منهم متولين الخراج ، وطلب مالا يقدرُوا عليه . وبعد هذا
أنزل الله الكريم بأحكامه الحق غلا عظيما على كورة مصر ،
حتى ان القمح بلغ خمس وبيات بدينار ، ومات بالجوع
خلق كثير من النساء والأطفال والصبيان والشيوخ والشبان ،
ومن جميع الناس مالا يحصى عدد من شدة الجوع . . وكان
المأمون رجلا حكيما فى فعله ويبحث عن مذهبنا ويجلس عنده
قوم حكماء يفسروا له كتبنا ، وبهذا الحكم كان محب
للنصارى . . فسأل الأب البطريرك أنباديونيوسيوس : أى
شئ كان السبب فى نفاق (ثورة) هؤلاء القوم ؟ فعرفوه أنه
بسبب ظلم متولى الخراج لهم أولا فتوجع قلبه على هلاكهم .
وتقدم الى المأمون وقال له لمنزلته عنده . . السبب فى
نفاقهم ظلم متولين الخراج لهم » .

يتضح من العرض السابق أن القبط حافظوا على
هدوئهم طيلة القرن الهجرى الاول ، ولكن تلاحقت ثوراتهم
فى القرن الثانى ، ثم اندلعت ثورتهم الكبرى فى القرن
الثالث ، وإن معظم الثورات التى وصلتنا أخبارها كانت فى

الوجه البحرى ، وأنها قامت لأسباب مالية لا دينية ، حتى ان المسلمين شاركوهم فى بعضها ، وفى ثورتهم الكبرى خاصة ، وأنها شاركت الثورات الاقتصادية فترات نشاطها وهدوئها • وخير ما نختم به هذا العرض قول المؤرخ الفرنسى ويت Wici ان هذه الثورات هى فتن وانتفاضات أكثر منها ثورات حقّة ، وأنها لم تجد من التنظيم والتدعيم ما يكفل لها النجاح ، ولم تكن لها دلالة اقليمية تحتوى على بذور وحدة وطنية معارضة لسلطان العرب والمسلمين •

الفصل السادس

الثورات المجهولة الأسباب

اندلعت بمصر ثورات أخرى خاصة بها ، لم يذكر لها المؤرخون أسبابا ، فجهلنا لونها ، ويغلب على الظن أن الدوافع التي جعلت المصريين يضطلعون بها اقتصادية . وليس بين أيدينا أوصاف مفصلة لأغلب هذه الثورات ، وإنما مجرد اشارات مقتضبة موجزة لا تعدو التلميح . ولذلك يقتصر عملنا هنا على ايراد قائمة بهذه الثورات ، مع الإخبار القليلة المتصلة بها .

قال صاحب النجوم الزاهرة عن سالم بن سودة التميمي ، الذي ولي مصر عام ١٦٤ هـ : « وفي أيامه كانت حروب كثيرة بمصر وبلاد المغرب » .

وقال عن مسلمة بن يحيى ، الذي ولي مصر ١٧٢ هـ : « وكانت أيامه مع قصرها كثيرة الفتن ، ووقع له أمور مع

أهل الحوف ، ثم أخرج العساكر لحفظ البحيرة من الفتن
التي كانت بالمغرب » .

وقال عن عبد الله بن المسيب ، الذي وليها بين سنتي
١٧٦ ، ١٧٧ هـ : « وفي أيام ولايته على مصر مع قصرها
وقع له حروب مع أهل الحوف » .

وقال عن عبيد الله بن المهدي ، الذي وليها بين سنتي
١٨٠ و ١٨١ هـ : « فلم تطل مدته على مصر ووقع له بها
أمور حتى صرف عنها » .

وفي عام ٢١٥ هـ ، ثار بنو لخم بالحوف ، وانضم اليهم
جماعة من القيسية واليمانية . فجهز اليهم أمير مصر جيشا
سار اليهم وحاربهم ، فظفر بهم بعد حروب .

ولما خلع الخليفة المستعين وبويح المعتز عام ٢٥٢ هـ ،
كان لهذا صداه في مصر . فقد ثار بنو مدلج قريبا من
الاسكندرية ، تحت زعامة جابر بن الوليد . فأرسل اليه
أمير الاسكندرية جيشا مؤلفا من ثلاث مائة رجل . فالتقوا
بمدينة صا ، فحالف النصر جابرا ، وتقهر جيش أمير
الاسكندرية منهزما . ولكن جابرا تعقبهم وحاربهم بجنبويه
وانتصر عليهم أيضا . وأرسل قائد جيش الأمير يطلب المدد
فأتاه جيش آخر . والتقت الجيوش بدسونس ، واقتتلت
قتالا شديدا ، رجحت فيه كفة جابر . فانتصر وغنم جميع
ما في معسكر أمير الاسكندرية ، ورجع الجند المهزوم الى

الاسكندرية • فخاف أميرها على نفسه وتحصن بها ، ولم يخرج لملاقاة الثائرين •

أما جابر فقوى جانبه ، وأتاه الناس من كل ناحية ، وضوى اليه كل من عرف بشدة ونجدة ، وتابعه المسلمون والنصارى • وأرسل واليا من قبله على سنهور وسخا وشرقيون وبنا ، فمضى فى جيش عظيم ، ضم هذه النواحي ، وطرد عمالها من قبل والى مصر ، وجبى خراجها •

وانضم اليه عبد الله بن أحمد العلوى المعروف بابن الأرقط ، فجعله على رأس جيش ، وضم اليه كثيرا من الاعراب ووجوه أصحابه • ثم ولاء على بنا وبوصير وبسمنود •

وأرسل أمير مصر الجيوش لمقاتلة عمال جابر • فالتقت هذه الجيوش مع ابن الأرقط فيما بين بوصير وبنا • واشتد القتال ، واستحز القتل فى الفريقين ، غير أنه قتل من أصحاب ابن الأرقط مقتلة عظيمة ، وأسر منهم كثير • أما هو فهرب الى شرقيون • ثم التقت الجيوش مرة أخرى ، غير أن أصحاب والى جابر اضطروا الى الهروب ثانية الى شرقيون •

ومضى جيش أمير مصر الى سندفا وضربها بالنار ، ونهب أهلها ، بعد أن هزم جيش جابر • ولما رأى جيش جابر انشغال عدوهم بالسلب والنهب ، كروا عليهم وقتلوا منهم كثيرين •

ولما تواترت أنباء الهزائم الى العراق ، أرسل الخليفة جيشا عظيما تحت قيادة مزاحم بن خاقان لمعاونة أمير مصر . وعندما دخل مصر ، أرسل رسلا من أصحابه الى جابر يأمره بالرجوع الى طاعة الخليفة . فأخر جابر الرسل أياما ، ثم أجازهم بجوائز عظيمة وردهم ، دون أن يعطيهم جوابا شافيا .

ومضى أحد جيوش أمير مصر الى والي جابر على شريقيون ، فالتقى معه بسمنود . ودارت رحى الحرب ، فلحقت الهزيمة والي جابر ، واضطر الى الالتجاء الى شريقيون ثم خرج منها الى سندفا . فتبعه جيش أمير مصر اليها وأوقعه بها . ففرق كثير من أصحابه من حوله ، وآثروا اما الانضمام الى جابر نفسه أو طلب الأمان من جيش والي مصر . وانتهاز الجيش الأخير الفرصة فأوقع بخصمه وأسر قائده وكثيرا من رؤسائه في رمضان سنة ٢٥٢ هـ .

ومضى جيش آخر من جيوش الخليفة العباس الى صا وشباس ، وقتل من بهما من أتباع جابر ، وتغلب عليهم ، فقتل جماعة منهم ونفى أخرى . وتغلب جيش آخر على ابن الأرقط العلوي ، فطلب الأمان ، فأومن . وأرسل به الى مزاحم ثم أخرج الى العراق في جمع معه مع أخى مزاحم في مستهل ربيع الأول سنة ٢٥٣ هـ . ولكنه استطاع الهرب منه في الطريق . ثم قبض عليه ثانية وأخرج الى العراق في عام ٢٥٥ هـ .

ومضى مزاحم بن خاقان الى الشائرين بالحواف وأحمد
ثورتهم ، وأسر رؤساءهم ومائة من رجالهم .

وسار جيش آخر الى الاسكندرية لمقاتلة جابر نفسه ،
وكان مقيما بتروجة . ولكن هذا الجيش لم يشتبك معه
في قتال الى أن فرغ مزاحم من الحواف ، وأتى لمحاربة
جابر . ودارت رحى الحرب بتروجة ، فكانت الغلبة
لمزاحم . وهرب جابر الى نهيا من أرض الجيزة في جمادى
الآخرة بعد أن أسر جمع كثير من أصحابه . فخرج اليه
جيش من الفسطاط للاجهاز عليه . ولكنه تغلب على هذا
الجيش ، وظفر بأربعين رجلا منه . ثم سار الى الفيوم ،
وحارب الأعراب بتنهمت ، وقتل كثيرا منهم .

ورجع مزاحم بن خاقان في اثر جابر ، فنزل نهيا
بعد مسير جابر منها بأربعة أيام . فاقتفى أثره الى الفيوم ،
فالتقى به فيما بين تنهمت وأقنى ، فهزمه وأسر ابن عم
له . ورجع جابر الى جنبيه من كوة البدقون ، غلى حين
رجع مزاحم الى الفسطاط في رجب .

وفي آخر الأمر ، وجد جابر ألا قبيل له بجيوش
الخليفة فطلب الأمان . فأمنه مزاحم هو وستة نفر من
قومه . فدخلوا الفسطاط ، فأثر مزاحم أن يسجن جابرا
مخافة أن يغتاله الرعاع . ثم بعث به الى العراق في رجب
عام ٢٥٤ هـ .

وعلى هذه الصورة انتهت أكبر ثورة في هذه
القائمة ، التي يتضح منها أن كثيرا من الثورات المصرية لم

تصل إلينا أخبارها • ولعلنا - إذا ما هدانا الله إلى كتب
أخرى من الكتب التي ألفها مصريون في تاريخ مصر خاصة
غير كتاب الكندي - واجدون فيها من الأخبار ما يغير كثيرا
من معلوماتنا عن تاريخ مصر في هذا العهد المبكر • فتلك
الإشارات المقتضبة من النجوم الزاهرة تنبئ بأن ورائها
أحداثا جديرة بالتسجيل ، إذ أن كثيرا من الأمور والأحداث
التي أفاض فيها الكندي لم يمنحها ابن تغري بردي أكثر
من إشارات •

الباب الثاني

المقاومة البيضاء

الفصل الأول

الامتناع عن التعارن

ان تركنا الصفحات الحمراء من التاريخ المصرى ،
وقلبنا الصفحات البيضاء ، عثرنا على اخبار اخرى ،
تعطينا آثارا من مقاومة المصريين ، لم تصطبغ بالعنف
الذى اصطبغت به المقاومة السبالفة ، وانما آثرت الهدوء
مع الاحرار على الصخب مع الجموح . وقد استخدم
المصريون الوانا متعددة من هذه المقاومة البيضاء وأول
هذه الالوان وصفه المؤرخون بالامتناع ، وقد تجلى فى عدة
مواقف ، وبرز فى كثير من الصور ، كان منها الهادئ
جدا ، ومنها ماعنف قليلا ، ومنها ماأدى الى القتال .

فحكى المؤرخون مواقف استقبل فيها المصريون
الولاة الذين نصبهم الخلفاء على حكم مصر استقبالا فاترا
ولم يقبلوهم ولا اعترفوا بهم . فعلوا ذلك مع الولاة العلويين
الذين ثاروا على عثمان بن عفان ، وطردهوا واليه ، وأقاموا

انفسهم ولاية باسم علي بن طالب . وفعلوه عام ٤٣ هـ علي وجه التقريب ، عندما خرج من مصر عتبة بن أبي سفيان واليها وافدا علي أخيه معاوية ، وانااب عنه عبد الله بن قيس التجيبي ، وكانت فيه شدة . فكره المصريون ولايته وامتنعوا منها . فبلغ ذلك عتبة فرجع الى مصر ، وخطب المصريين فقال « يا أهل مصر ، قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم . وقد وليكم من ان قال فعل . فان أبيتم درأكم بيده . فان أبيتم درأكم بسيفه . ثم جاء في الآخر ما أدرك في الأول . ان البيعة شائعة . لنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل . وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه » فناداه المصريون من جنبات المسجد « سمعا . سمعا » فناداهم « عدلا ، عدلا » ثم نزل .

وفي عام ٥٨ هـ ، ولي معاوية بن أبي سفيان ابن أخته عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي ، المعروف بابن أم الحكم ، علي مصر ، وكان قبيل واليا علي الكوفة فطرده أهلها لسوء سيرته . فاستقبله معاوية بن حديج علي مرحلتين من مصر ، وقال له : « ارجع الي خالك . فلمرى لا تسير فينا سيرتك في اخواننا من أهل الكوفة » فرجع الي معاوية ولم يدخل مصر .

ثم توجه معاوية بن حديج الي الخليفة معاوية معاتبا ، وكان اذا قدم عليه زينت له الطرق بأقواس النصر وقياب الريحان تعظيما لشأنه . فدخل علي معاوية

وعنده أخته أم الحكم ، فقالت : « من هذا يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « بخ بخ ! هذا معاوية بن حديج » . قالت : « لا مرحبا ! تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ! » فسمعها معاوية بن حديج ، فقال : « على رسلك يا أم الحكم ، والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ، أردت أن يلى أبنتك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في أخواننا من أهل الكوفة ! ما كان الله ليريه ذلك . ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطأطئ منه ، ولو كره هذا القاعد » وأشار الى معاوية . فالتفت معاوية اليها وقال لها : « كفى » فكفت .

وفي عام ٦٠ هـ ، توفي الخليفة معاوية واستخلف ابنه يزيد فكتب الى والى مصر ليأخذ البيعة له من أهل مصر . فأبى عبد الله بن عمرو بن العاص ، فأخذ الوالى يغريه بشتى الوسائل ، ويبعث اليه مختلف الرسل من الكبراء الأصدقاء . ولما رأى اصراره لجأ الى القوة ، فبعث اليه صاحب الشرطة ، فهدده ودعا بالنار ليحرق عليه منزله وحينئذ بايع عبد الله مكرها .

وفي عام ٦٢ هـ ، ولى يزيد بن معاوية سعيد بن يزيد الأزدي ، من أهل فلسطين ، على مصر . فلما قدم اليها ، تلقاه أهلها ووجوه الناس . ولما راوه شابا قال عمرو بن قحزم الحولاني : « يغفر الله لأمر المؤمنين ، أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم » . ولم يزل المصريون على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه ،

حتى توفي يزيد ودعا عبد الله بن الزبير الى نفسه ، فوثبوا
على سعيد وعزلوه .

وذكر ابن تغرى بردى أن هشام بن عبد الملك لما ولي
حفص بن الوليد على مصر عام ١٠٨ هـ ، كرهه المصريون ،
ووالوا الشكوى منه الى الخليفة ، حتى عزله ولم تزد ولايته
عن أربعين يوما . ولكن الكندي ذهب الى أن صاحب الخراج
هو الذى طلب الى الخليفة عزل حفص ، فأجابه الى طلبه ،
لمكانته عنده .

وفى عام ١١٨ هـ ، ولي مصر عبد الرحمن بن خالد
الفهمى ، وكان ضعيفا لينا . فأغارت سفن الروم على مصر
وأسرت بعض المحاربين . فكره المصريون واليهم لضعفه
لا لسوء سيرته ، وشكوه الى الخليفة . فلما تحقق من
صحة شكواهم عزله .

وفى عام ١٢٧ هـ ، أعفى مروان بن محمد حفص
ابن الوليد عن ولاية مصر ، وولى عليها حسان بن عتاهية .
فأبى ذلك المصريون ، وأخرجوا حسانا وأعادوا حفصا الى
الامارة . وبعد قليل ولي مروان على مصر حنظلة بن صفوان
الكلبي . فامتنع المصريون ، ومنعوا حنظلة من المقام
بالفسطاط ، وأخرجوه الى الحوف الشرقى . وفى آخر الأمر
اضطروا الى اعلان الثورة ، والاشتباك فى عدة معارك .

وفى عام ٣٠٩ هـ ، عزل مؤنس الخادم ، قائد جيش
الخليفة العباسى المقتدر ، تكين والى مصر ، وأقام بدله أبا

قابوس محمود بن جمل ، دون سبب قائم . فعظم ذلك على المصريين وكرهوه . فلم يلتفت مؤنس اليهم ، فكثر الكلام في عزل تكين حتى أشيع وقوع فتنة . وتحدث الناس وأعيان مصر مع مؤنس الخادم ، وخوفوه العاقبة ، وألحوا عليه في إعادة تكين . وأخيرا رأى أن يلجأ الى الحيلة خوف استفحال الأمر . فأظهر الاذعان وأعاد تكين الى الامارة . وفي الوقت نفسه أخذ يدبر أموره ، ويصلح أحواله ، ويوطد مركزه ، ويجمع القوى في يده . واذ اطمأن الى مركزه . جمع القواد وأخذ يحدثهم في عزل تكين ، ولا زال بهم حتى وافقه الجميع . فعزله وأسرع بإخراجه الى الشام في أربعة آلاف من أهل الفتنة قبل أن يفيق المصريون ويستردوا مراكزهم ويطالبوا برجوعه الى الولاية .

وأخذ هذا الامتناع في بعض الأحيان صورة أخرى ، نراه فيما فعله أنصار عثمان بن عفان حين آلت السلطة في مصر الى يد العلويين . فقد اعتزلوا محمد بن أبي حذيفة ، وقيس بن سعد ، ومحمد بن أبي بكر ، وآثروا الابتعاد عن العاصمة ، ولجئوا الى خربتسا من مدن مديرية البحيرة . ورأى قيس بن سعد ، لدهائه وحسن سياسته ، أن يلاطفهم فتركهم على حالهم ولم يهجم ، بل استقدم منهم الوفود ، وبعث اليهم العطاء . فحافظوا على اعتزالهم ، وهدوئهم . أما محمد بن أبي بكر ، فلم يكن كسابقه ، فأثارهم . فاشتبكوا معه في مقاومة مسلحة ، لم يستطع القضاء عليها . ثم كانت غلظته الثانية ، حين قبل أن يهادنهم على

أن يخرجوا إلى معاوية بن أبي سفيان . فكانوا نعم العون
له في الاستيلاء على مصر .

ونهجت مقاومة المصريين لمن كرهسوه من الولاة
مناهج أخرى ، أهمها الامتناع عن تنفيذ أوامره . امتنعوا
مثلا عن تنفيذ ما لم يرضوه من أوامر الخلفاء . . فهذا هو
مروان ابن الحكم يستخلص مصر من أيدي الزبيريين ويدخلها
غازيا . واذ يتم له ذلك يجمع الناس ليبايعوا له . فيأبى
ثمانون رجلا من المعافر ، ويقولون : « انا قد بايعنا ابن
الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته » . فقدمهم مروان رجلا
فضرب أعناقهم .

وأراد هشام بن عبد الملك أن يوحد المكاييل في
خلافته ، فبعث مديا إلى مصر وأمر أن يتعامل المصريون
به . فأمر الوالي فطيف به على القبائل حتى أتى به إلى
المعافر . فعرض عليهم ، فبرز منهم عبد الرحمن بن
حيويل ، وأخذه ثم ضرب به حجرا فكسره ، وقال : « ان
لنا وبيه واردبا قد عرفناهما ولسنا نحتاج إلى هذا » .
فلقب منذ ذلك الحين « كاسر المدى » ، وصار هذا نسبا
لبنيه ، يقال لهم « بنو كاسر المدى » . وقال شاهرهم :

قومي الذين تبادروا
مدي الخليفة بالحجر

وتحزبوا وتعصبوا
وجثسوا عليه فانكسر

من بعد ما ذلت له

أعناق يعرب بل مضر
وامتنعوا عن تسليم من يطلبهم الوالى ويبحت عنهم
لعقابهم ، وساعدوهم على الاختباء والهرب . فقد تعقب
صالح بن على العباسى رجاء بن روح عام ١٣٧ هـ ، ونمت
اليه اخبار أنه مختبئ عند محمد بن بحير . فانتهاز ذات
يوم حضوره مجلسه فطلب اليه العقود . فلما خلا المجلس
قال الأمير لمحمد : « يا بن بحير ، ألم أكرمك ؟ ! ألم
أشرفك ؟ ! فكان ثوابى أن آويت أعدائى ! » قال :
« وما ذاك ؟ » قال : « رجاء بن روح عندك » . قال :
« أصلح الله الأمير ! اختر واحدة من اثنتين ، فيها لي براءة
ولك شفاء مما اتهمتنى : اما أن ترسل الخيل على غرتى
فتفتش منازل ، واما أن أبرئ صدقك بيمينى » . قال :
« فسم امرأتك » . قال : « ابنه فهد بن كثير المعافى » .
قال : « فهى طالق ، وكل مملوك لك حر ، وعليك المشى الى
بيت الله ان كان عندك ولا تعلم مكانه » . فحلف . فقال :
« انصرف » . فانصرف محمد بن بحير الى بيته ، وأعلم
امراته ، فكان موقفها لا يقل عن موقفه . قالت : « فلا
تظهر ذلك فيعرف فلا ننجو من القوم ، ولكن ادخل على
واعتزل مضجعى » . فدأب على الدخول الى منزله ، وهو
معتزل زوجته بالرغم من بقائها فيه ، حتى خرج صالح بن
على عن مصر ، فأظهر ابن بحير طلاق زوجته ، وأعتق
رقيقه ، ومشى الى بيت الله .

وفي ١٩٨ هـ ولي المأمون المطلب بن عبد الله الخزاعي مصر . فتلقيه السري بن الحكم الطامع في امرة مصر ، وأراد أن يفسد أموره ، فأغراه بالمصريين ، وأخبره أنهم متسرعون الى الفتن ، وخوفه من ابراهيم بن نافع الطائي خاصة ، وكان السري لا يميل اليه . فطلب المطلب ابراهيم الطائي فلم يظهر له ، فجد في طلبه . واتهم زرعة بن قحزم وهبيرة بن هاشم وجنادة بن عيسى وجزى بن عمرو باخفائه فسجنهم جميعا ، فلم يقر أحد له . ثم بلغته شائعات أنه عند هبيرة بن هاشم ، فأحضره وعرضه على السيف أو يأتيه بالطائي ، فامتنع هبيرة من اظهاره . فلما سكن المطلب عن الطائي ، أخرجه هبيرة الى الصعيد ، فأفلت . وقال سعيد بن عفير يسجل الحادث :

لعمري لقد أوفى وفاق وفاؤه
هبيرة في الطائي وفاء السموءل
وقاه المنايا اذ أتاه بنفسه
وقد برقت في عارض متهلل
فما انفك محبوبسا ومطلب له
عليه قصيف بالوعيد المهول
الى أن تجلت عنه أبيض ماجدا
كريم النشا في المشهد المتدخل

وكتاب المكافأة لأحمد بن يوسف مليء بأمثال هذا اللون من الأخبار .

وأبدي المصريون لوفين آخرين من الامتناع عن
المعاونة أخطر من جميع الألوان السابقة ، وهما امتناع أهل
القرى والمدن عن أداء الخراج ، وامتناع الجند عن اجابة
طلب الوالى وقت الشدة . وكثيرا ما أدى هذان اللونان الى
الثورة العارمة ، أو انهزام الوالى . والأمثلة كثيرة ، وفيت
حقها عند الكلام عن الثورات الدامية .

وصفوة القول أن المصريين قاوموا ماكرهوه ومن لم
يرضوا عنه ، مقاومة ايجابية بالقوة ، ومقاومة سلبية
بالامتناع عن التعاون . وكما كثرت ثوراتهم الحمراء
تنوعت صور مقاومتهم البيضاء ، وبلغوا فى كثير منها
أمانهم التى كانوا يسعون اليها فالمقاومة البيضاء لم تكن
عندهم أقل شأنا من زميلتها الحمراء ، ولم تتأخر عنها ،
بل ظهر الاثنان فى وقت واحد ، هو وقت ظهور الثورات
الاسلامية عامة ، أعنى فتنة عثمان .

الفصل الثانى

المقاومة القولية

لجأ المصريون فيما لجئوا اليه من مقاومة بيضاء ،
الى ما قد نسميه المقاومة اللسانية أو المقاومة القولية وأعنى
به المقاومة باللسان أو القول . وطبيعى أن تنقسم المقاومة
الى نوعين : شعري ونثرى .

وجدى بنا أن ننبه سلفا أن القسط الأغلب من
الشعر المصرى الذى وصل الينا من هذه الحقبة التى
ندرسها شعر متصل بالأحداث التى تقلبت على المصريين ،
وأقله شعر ذاتى قاصر على المشاعر الشخصية لقائله .
وليس هذا بالدليل القاطع على أن المصريين لم يفرغوا
لأنفسهم ، وينكبوا على أحاسيسهم ، ويعبروا عنها شعرا .
فربما فعلوا ذلك ، ولكن هذا الشعر لم يصل الينا لسبب
من الأسباب . نضيف الى ذلك أن أكثر هذا الشعر محفوظ
فى المصادر التاريخية لا الأدبية ، وبدهى أن هذه المصادر
لا تعنى الا بما يحقق أهدافها وأغراضها ، ويشهد لأقوالها
وحوادثها ، وهو الشعر الخاص بأحداث التاريخ .

ونستطيع أن نرى عناصر مقاومة المصريين الشعرية
في أغراض شتى من أغراض الشعر ، ولكنها تظهر جليلة
في الهجاء ، والرياء ، والفخر ، والاستنفار . ولذلك تقصر
الكلام عليها .

وأول أمثلة الهجاء ترجع الى سنة ٨٦ هـ ، حين ولي
مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فغلت الأسعار ،
وتشام به المصريون ، وزعموا أنه ارتشى . وخرج عبد الله
الى الشام وافدا على أخيه الوليد ، فانتهاز الشاعر المصري
زُرعة بن سعد الله بن أبي زمزمة الفرصة ، وقال :

إذا سار عبد الله من مصر خارجا
فلا رجعت تلك البغال الخوارج

أتى مصر والمكيال واف مغربل
فما سار حتى سار والمد فالج

فلما بلغت الأبيات عبد الله ، أهدر دمه . فهرب
الشاعر الى المغرب ، وكتب الى الوليد :

ألا لا تنه عبد الله غنى
كما قد قال يجعلنى نكالا
ولم أشستم لعبد الله عرضا
ولم آكل لعبد الله مالا

وليست الحالة السابقة الوحيدة التى اتهم فيها
الشعراء الأمراء بالرشوة والتسبب فى الغلاء ، كما لم يتهم

زرعة وحده الأمير عبد الله بهذه التهمة ، بل فعل ذلك
عبد الله بن الحجاج ورجل لم يذكر اسمه من قريش .

وتعدى الشاعر المصرى الأمير بالهجاء ، فهجا الأمير
وصاحب الخراج ونوابهما . قال سعيد بن عفير :

ما كنت أحسب أن الحين يجمع ما
أمسى بمصر من الأندال فى الامر

أما الأمير فحجاج وصاحبه
على الخراج سوادى من الأكر

هذا الهنائى من الفسطاط يخلفه
والعسامل على أعماله الآخر

كل لصاحبه شكل يلائمه
فهم سواسية فى اللؤم كالحر

وما هناة الا ظلف ذى يمن
والعامليون مأوى اللؤم من مضر

فما يسوغ لنا عيش فينفعنا
مع مانرى لهم من رقة الخطر (١)

وكثر فى هجاء المصريين تعيير الأمراء بالهزيمة فيما
اشتبكوا فيه من وقائع حربية . قال أبو بجاد الحارثى

(١) الامر : جمع امرة . وحجاج : مخنث . وسوادى : من
سواد العراق ، وهو ريفه . والاكر : الحفر ، يريد بها ما يشقه
الزارع فى أرضه للزراعة .

يهجو السرى بن الحكم عندما هزمه عبد العزيز بن الوزير
الجروى بشطنوف وقتل ابنه ميمونا :

جمع رعاك يا سرى فانها
حرب تحس سعيها قحطان
قتلوا أبا حسن وجروا شلوه
كالكلب جر بشلوه الصبيان
ولت تجيب وأسلمته جيادها
عيلان يوم تواكلت عيلان
فاستخرجوه ملبيا فأتى به
يجرى ويهرج حوله السودان
لاتبك فالعقبى لاختوته غدا
أو بعده ، فكما تدين تدان (١)

وكانت الحروب المستعرة الأوار بين السرى والجروى
مصدرا ألهم الشعراء كثيرا من القصائد المتنوعة .

ولم يرض الشاعر يحيى بن الفضل عن غنيسة بن
اسحق الضبى الوالى ، وكان يذهب الى المسجد دون موكب ،
وينادى بالسحور فى شهر رمضان ، ويتهم بمذهب الخوارج
فقال :

(٢) الشلو : الجسد . ولبب : جمعت ثيابه عند نحره فى
الخصومة وجر منها .

من فتى يبلغ الامام كتابا
 عربيا ويقتضيه الجسوابا
 بنس والله ما صنعت الينا
 حين وليتنا أميرا مصابا
 خارجيا يدين بالسيف فينا
 ويرى قتلنا جميعا ضوابا
 مر يمشى الى الصلاة نهارا
 وينادى السحور ، ضل وخابا
 ثم نزلت الروم دمياط يوم عرفة من ولايته ،
 فاستولوا عليها ، وقتلوا بها جمعا كبيرا من المسلمين
 والنصارى ، فنفر اليهم عنيسة فلم يدركهم . ومضى الروم
 الى تنيس فأقاموا بأشتومها ، فلم يتبعهم عنيسة . فبعث
 يحيى بن الفضل للخليفة المتوكل :
 أترضى بأن توطأ حريمك عنوة
 وأن يستباح المسلمون ويحربوا
 حمار أتى دمياط ، والروم وثب
 بتنيس منه رأى عين وأقرب
 مقيمون بالأشتوم يبغون مثل ما
 أصابوه من دمياط والحرب ترتب
 فلا قلنسنا انا بدار مضسيسة
 بمصر وان الدين قد كاد يذهب (١)

(١) حربه : سلبه ماله . وقرتب : مقبلة ثابتة .

وواضح أن الشاعر المصري كان يعتمد في هجائه على السخرية والاضحاح ممن يهجوّه ، وإبرازه في صوره فكهة .

وظهرت روح المقاومة في رثاء الشاعر المصري من ينزل بهم الوالى عقابه . ووصلت إلينا أمثلة من هذا اللون من الرثاء من العصرين الأموي والعباسي . فقد اغتال مروان ابن الحكم . حينما استولى على مصر واستخلصها من أيدي الزبيريين - الأكرد بن حمام سيد لخم ، وكادت تنشب ثورة عارمة يهلك فيها مروان لولا أن حماء بعض المصريين . وقال زياد بن فائد اللخمي يرثي الأكرد :

كما لقيت لخم ما ساءها
بأكدر ، لا يبعدن أكرد
هو السيف أجرد من غمده
فلاقى المنيا وما يشعر
فلهفى عليك غداة الردى
وقد ضاق وردك والمصدر
وأنت الأسير بلا منعة
وما كان مثلك يستأسر

وفي أواخر العصر الأموي قامت ثورة كبيرة بمصر ، فأتى جيش كبير إليها على رأسه حوثة بين سهيل الباهلي ، استطاع أن يخمد الثورة ، ويقتل رؤساءها ، ويغتال

بعضهم الآخر • فأرسل الشعراء الأشعار فى رثائهم ، قال
مرسل بن حميد مثلاً :

يا حفص يا كهف العشيرة كلها
يا خا النوال وساتر العورات
أما قتلت فأنت كنت عميدهم
والكهف للأيتام والجارات
أودى رجاء ، لا كمثىل رجائنا
رجل ، وعقبة فارح الكريات
وشبابنا عمرو وفهد ذو الندى
وابن السليط وعامر الفارات
قتلوا ولم أسمع بمثل مصابهم
سروات أقوام بنسو سروات

وكما كانت ثورات السرى والجروى مصدرا لكثير من
قصائد الهجاء ، كانت أيضا منبعاً لأشعار الرثاء ، التى
تبكى من قتل فيها من الرؤساء • قال سعيد بن عفير يرثى
هبيرة بن هاشم بن حديج ، وكان من رؤساء المصريين الذين
تحتزمهم جميع الأحزاب والجماعات بمصر :

لعمري لقد لاقى هبيرة حتفه
بأفضل ما تلقى الحتوف السوارع
بأنف حمى لم تخالطه ذلة
وعرض نقى لم تشبهه المطامع

عُشِيَّةٌ يَسْتَكْفِيهِ مَطْلَبُ الَّذِي
بِهِ ضَاقَ ذُرْعَا وَالْمُنَايَا كَوَارِعُ
فَمَا أَنْفَكَ يَحْمِيهِ وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ
لَهُ جَنَّةً حَتَّى احْتَوَتْهُ الْمَصَارِعُ
فَلَا قَى الْمُنَايَا فَوْقَ أَجْرَدِ سَابِغِ
وَفِي الْكَفِّ مَأْثُورٌ مِنَ الْهِنْدِ قَاطِعُ
فَبَيْنَا يَخْوِضُ الْهَوْلُ مِنْ غَمْرَاتِهِ
وَأَعْدَاؤُهُ مِنْ حَوْلِهِ قَدْ تَجَاشَعُوا
تَقَطَّرَ فِي أَهْوِيَةٍ عَنْ جَوَادِهِ
فَصَادَفَهُ حَسِينٌ مِنَ الْمَوْتِ وَاقِعُ
فَلَمْ أَرِ مَقْتُولًا أَجَلَ مَصَابِهِ
عَلَى مَنْ يَعَادَى وَالَّذِينَ يَجَامِعُ
مَنْ ابْنِ حَدِيدٍ يَوْمَ أُعْلِنَ نَعِيهِ
وَقَامَ بِهِ فِي النَّاسِ رَاءَ وَسَامِعِ
فَوَلُّوا فَوَلُّوا قَدْ عَلَتْهُمْ كَأْبَةٌ
وَكُلُّهُمْ بَادَى التَّلْهَفِ جَازِعُ (١)

وبكى كثير من الشعراء الدولة الطولونية بكاء حارا
بقيت لنا منه قصائد قلائل ، نمثل لها بقول اسماعيل ابن
أبى هاشم :

-
- (١) كوارع : يريد متهيئة . والجنة : الوقاية والدرع .
ومأثور من الهند : سيف هندي كريم . وتجاشعوا : تراحموا .
وتقطر : سقط . وأهوية : حفرة .

قف وقفة بفناء باب السناج
 والقصر ذى الشرفات والابراج
 وربوع قوم أزعجوا عن دارهم
 بعد الإقامة أيما ازعاج
 كانوا مصابيحاً اذا ظلم الدجى
 يسرى بها السارون فى الادلاج
 وكان وجوههم اذا أبصرتها
 من فضة مصبوغة أو عاج
 كانوا الشريا لا يرام حماهم
 فى كل ملحمة وكل هياج
 فانظرالى آثارهم تلقى لهم
 علما بكل ثنية وفجاج
 وعليهم ما عشت لا أدع البكا
 مع كل ذى نظر وطرف ساج
 ونظم فيهم سعيد القاص قصيدته الطويلة التى
 عالجت تاريخ الطولونيين الزاهر ، وأشادت بمفاخرهم
 ومآثرهم ، وبكت أمجادهم . قال :
 جرى دمه ما بين سحر الى نحر
 ولم يجر حتى أسلمته يد الصبر
 وبات وقيذا للذى خامر الحشا
 يشن كما أن الأسير من الأسر

وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى
يبیت علی جمر ویضحی علی جمر
تتابع أحداث تحیفن صبره
وغدر من الأيام ، والدهز ذو غدر
أصاب علی رغم الأنوف وجدعها
ذوی الدین والدنیا بقاصمة الظهر
طوی زینة الدنیا ومصباح أهلها
بفقد بنی طولون والأنجم الزهر
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة
أحادیث لا تخفی علی کل ذی جبر
وكان أبو العباس أحمد ماجدا
جميل المحیبا لا یبیت علی وتر
كان لیالی الدهر كانت لحسنها
واشراقها فی عصره لیلة البدر
یدل علی فضل ابن طولون همة
محلقة بین السماکین والغفر (١)

ویجتمع الفخر والاستنفار فی قصائد واحدة ، یقولها
الشعراء أو بعض الثائرين أنفسهم یشیدون بما أتوا من
أعمال ، ویحشون قومهم علی مناهضة الولاة والأمراء .

(١) الوقید : الشدید المرض المشرف علی الموت . وتحیفن :
تنقصن . والحجر : العقل . والوتر : الثار .

ويتمثل هذا اللون من الشعر فيما كان يقوله أبو الندى
الذى خرج على الوالى الحسين بن جميل فى نحو ألف رجل
من بلى :

أقول اذا الرفاق بدت لوجهى
ألا حلوا رحالكم وطيروا
وان لم تتركوها فاستعدوا
لحرب مثل حاصبة تفور

أقول لصحبتى : كروا عليهم
فليس يهرهم الا الكرور

ثم ينفرد ببقية أشعار الاستنفار الى الحرب سعيد
ابن عفير الذى ينظم القصائد يحاول فيها أن يشجع الجروى،
ويحثه على حرب السرى وابنه ، ويلومه لتباطؤه ، وينصحه
ألا يبقى على أحد من أسرة السرى . يقول لعل بن عبد العزيز
الجروى :

ألا من مبلغ الجروى عنى
مغلغلة يعاتب أو يلوم

أقمت تنازل الأبطال حتى
تميز ذو الحفيظة والسئوم

وصلت بهم فما وهنت قواهم
وطير الموت دائرة تحوم

ولو هجمت جموعك حين حلوا
عليهم باد جمعهم المقيم
وكيف رأيت دائرة التواني
أتتك بصبحو نحس لا يقيم
أتاك وقد أمنت ونمت كيد
لصل لا ينام ولا يقيم
ويقول له مرة أخرى حين فر أمام عبيد الله بن
السرى :

ألا يا علي بن عبد العزيز
إلى أين صرت تريد الفرار
فلمست بأول من كاده
عدو ، فكر عليه اعتكسارا
وأجر مضيرك أن يسحبوا
إليك فتوحا عظاما كبارا
فتدرك ثارك من أهله
وتلبس بعد الكبيرو الفسارا (١)

تلك هي الموضوعات الشعرية التي ظهرت فيها
عناصر المقاومة القولية من المصريين جلية بارزة . ويتضح
منها أن المصري لجأ إلى الفن الذي برع فيه كل البراعة

(١) اعتكار : كروهجوم على العدو . والفار : التاج .

للنيل من خصومه ومقاومتهم والتشهير بهم ، أعنى به
السخرية والاضحاك . ويتضح أيضا أن الشاعر المصرى
من أول الشعراء الذين حاولوا أن ينظموا أمجاد بلادهم
والصفحات المشرقة من تاريخها ، وأن يبكوا الدول التى
وفرت لبلادهم الحضارة والترف والنعيم . وسبقوا بذلك
أخوانهم من شعراء الأقطار العربية الأخرى . والقارىء
المستقصى للموضوعات الأخرى من الشعر المصرى لا تخطئ
عينه بعض الآثار التى تمت الى روح المقاومة ، وخاصة فى
المدح ، كمدح الطولونيين وابن الخليج . ولكن هذه الآثار
لا تبلغ ما بلغته فى الموضوعات التى أفردتها بالذكر .

ويجدر بى قبل أن أطوى هذه الصفحات أن أشير
الى شاعرين تجلت فيهما روح المقاومة المصرية أبلغ التجلى
أول هذين الشاعرين أبو عثمان سعيد بن كثير بن عفير
الأنصارى . وإذا أردنا أن نرسم تخطيطا لترجمة حياته
رأينا أنه ولد سنة ست وأربعين ومائة . وتلقى العلوم
الدينية فى مصر وبغداد والمدينة ، وصار أحد المحدثين
الثقات . وأخذ بحظ وافر من العلوم الأدبية ، فدرس علوم
الانساب والتاريخ والأيام . وكان الى جانب ذلك شاعرا
ذكيا سريع البديهة فصيح اللسان حسن البيان لا تمل
مجالسته .

وقد اتصل بالأحداث التى وقعت فى أيام السرى ابن
الحكم وأبنائه ، وعبد العزيز بن الوزير الجروى وابنه ،

وشارك فيها مشاركة لها خطرهما . وكان شعره سلاحاً
فتاكاً فيها . وكان سعيد بن عفير يمثل الحزب المصرى
المخالص المصرية ولذلك ناصر الجرويين ، وهجسا السرى
وأبناءه ، وبكى كل مصرى سقط فى الميدان . وقد رأينا
عدة أمثلة من شعره ، ولكنى أمثل له أيضا بقوله يعرض
بنى قضاة على الثورة حين قتل الوالى أشرافهم الثائرين به :

قتلوا ابن سيدهم وفارس حربهم

عن غير نائرة ولا اجرام

أضحت قضاة قد علتها كابة

وبنو الجريش سوافر الاظلام

فلئن قضاة لم تطالب تأره

بكتيبة خشناء ذات عرام

ما فى قضاة بعدها ما يرتجى

للنائبات وما هم بكرام

وقال يرثى عمر بن ملاك الذى قتله الاندلسيون

وأنصارهم فى الاسكندرية :

لا يبعدن ابن ملاك فقد ذهبت

منه المنون بعلم طيب النسب

لا يرأم الضيم من حب الحياة ولا

يقبل دون فعال الخير بالقسم

ولا يزال له من مجده طرف

يسند ما حاز عن آبائه القدم

ما انفك يحمي دمار اسكندرية في
هذه حميد وعز غير مهتضم
حتى اذا جاءه من كان يأمنه
وصرح الموت جهرا غير مكتتم
خاض الأسنة والهندي محتسبا

حتى تجرع كأس الموت من أمم
والمتتبع لما بقي من شعر سعيد يجده يدور حول
رثاء كهراء المصريين الذين سقطوا صرعى الاحداث التي
امتلات بها هذه الحقبة ، والاشادة بفضيلهم وشجاعتهم
وبسالتهم في مواجهة الموت ، وتفضيلهم القتل على الحياة
الذليلة ، ونقاء شرفهم ، ومآثرهم ، وكيف قتلوا ، ووجوب
الثأر لهم ، وحول لوم الجروى وابنه على التواني في الحرب
وعدم انتهاز كل فرصة للقضاء على السرى وابنه ، ويحث
على الصبر وعدم الفرار واستئصال الخصوم .

والشاعر الثاني محمد ابن داود ، وقد حمل لواء
المقاومة في الدولة الطولونية . فالح بالهجاء على أحمد
ابن طولون ، واقتفى خطاه ، فكلما أتم عملا ما ، نظم فيه
قصيدة هجاء تطعن عليه وعلى عمله ، وتنتقص من قدره .
ولست أدري سبب هذه العداوة المريرة ، ولا كيف صبر
أحمد بن طولون على هذا الشاعر ، ولا كيف أفلت الشاعر
من سطوة ابن طولون وبطشه ، فالمرجع التاريخية
لا تذكر شيئا من ذلك . ولكن الحصومة كانت من العنف

بحيث لم يستطع الشاعر أن يبرأ من أدرانها بعد موت
أحمد بن طولون ، فهجاء أكثر من قصيدة ، دون أن يكون
للموت عنده حرمة .

قال محمد بن داود عندما بنى ابن طولون مستشفى

ألا أيها الأغفال أيها تأملوا
وهل يوقظ الازدهان غير التأمل

ألم تعلموا أن ابن طولون نقمة
تسير من سفلى اليكم ومن عسل

ولولا جنايات الذنوب لما علت
عليكم يد العليج السخيف المجهل

فكم ضجة للناس من خلف ستاره
تضج الى قلب عن الله مغفل

وقال عندما تحصن ابن طولون بجزيرة الروضة ،
وبنى المراكب الحربية ، اذ سمع أن الخليفة قد أرسل
جيشا تحت قيادة ابن بغا لمحاربته :

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا
ساقيه زرقا الى الكعبين والعقب

بنى الجزيرة حصنا يستجن به
بالعسف والضرب ، والصناع في تعب

له مراكب فوق النيل راكدة
فما سوى القار للنظار والخشب

يرى عليها لباس الذل مذ بنيت
بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسبا
لكن بناها غداة الروع للهرب
وقال فيه بعد موته :

عرج على اليعموم فانزل به
فاسلح على قبر ابن طولونا
وقل له : يا شر مستودع
أخفى لدمع القلب ملعونا
يا حفرة النار التي أضرمت
وظل فيها الرجس مدفونا
لا تجعلى لبسة جثمانه
الا الأفاعى والثعابين
فعر ابليس بها أولا
وعز من بعد الشياطين
وقل لهم : قد كان يكفيكم
ويهتك المعروق والدين
ثم مضى غير فقيد ولا
كان حميدا عمره فينا

ويتضح من شعر محمد بن داود أنه كان يحمل بين
جنبه حقا هائلا لا يخفف منه شيء ، وأنه كان عنيفا

فاحشاً في هجائه ، ملاء بالصور المقذعة ، ولجأ فيه الى السخرية والتهكم . واعتمد على الصور التي تصور ابن طولون في أوضاع تحط منه ومن أعماله . ولم يتورع الشاعر عن شيء يشين الأمير . فسلبه الدين والخلق والشجاعة وجعله نصيراً للشيطان بل كافياً له .

وخلاصة القول في الشعر المصرى أنه رافق المعارك : فمهد لها قبل أن تقوم ، وحث الجماعة المصرية على الخروج على مالا ترضاه ، وهجا من كرهته ، واستنفرها الى الثورة وثبتها في القتال ، وأشاد بمن ثبت من المصريين ، وعير من هرب ، وطلب اليه الكر ، ثم بكى المستشهدين . وكان سلاحاً فتاكاً مطواعاً لبعض الشعراء ، وأحد أسننته السخرية والتهكم والصورة الفكاهية . وقد ازدهر في الاوقات التي كثرت فيها الوقائع . ولم يختف كل الاختفاء في غيرها من الاوقات ، ولكنه كان أقل انتعاشاً .



واستخدم المصريون في مقاومتهم القولية سلاحاً آخر لا يقل قوة عن الشعر ، ذلك السلاح هو ما اشتهر به أهل مصر قديماً وحديثاً ، وكاد يكون علماً عليهم ، وهو الفكاهة والسخرية . ولم يجد هذا اللون عناية من المؤرخين سواء القدماء والمحدثون . ولذلك لم يتسرب اليها الا ثلاثة أمثلة منه .

فقد ولي عبد الله بن عبد الملك مصر في سنة ست وثمانين ، فغلت الأسعار ، وتشاءم به أهل مصر . وأكثروا

من الاشاعات حوله ، وزعموا انه ارشى ، ووسموه بلقب
يسخرون منه فيه ، هو « المكيس » . وبالرغم من التحريف
الذى اصاب هذا اللقب فى كتب التاريخ ، وجعلنا غير
مطمئنين الى صيغته الحقة ، فان الصلة واضحة بينه وبين
المكوس والضرائب . ولعل المصريين ارادوا بهذا اللقب ان
يلقبوا هذا الوالى جابى المكوس او الرشاوى .

(وعزم جماعه من الخوارج ان يقتلوا قره بن شريك والى
مصر (٩٠ - ٩٦ هـ) ، فوشى بهم رجل يكنى أبا سليمان ،
فكان الفقيه المصرى المعروف يزيد بن أبى حبيب كلما
هم أن يذكر شيئا يمس الحساكم ، تلفت حوله ، وقال :
« احذروا أبا سليمان » . ثم كان يقول : « الناس كلهم
أبو سليمان » .

وخرج خارجى يدعى وهيبا فى ولاية الوليد بن
رفاعة (١٠٩ - ١١٧ هـ) ، وتتبع الوالى ليقتله ، ولكنه
فطن له وقبض عليه وقتله . وانتشر على السنة القوم حينئذ
عبارة : « أين صلاتك يا وهيب » . والمراد منها غير جلى
اليوم .

وليس من اليسير تتبع مارمى به المصريون خصومهم
من نوادر ونكات ، وما نبذوهم به من ألقاب وصفات ،
يسخرون بهم فيها ويتهمون عليهم . فان هذا اللون من
المقاومة القولية ليس من الامور التى كان المؤرخون يابھون
لها . ولكن الامثلة السابقة تكفيها لنقول ان المصريين
استخدموا هذا السلاح الذى برعوا فيه لمقاومة خصومهم .

خاتمة

أدت بنا الأبحاث السابقة الى الاعتراف بأن المصريين شاركوا المشاركة مذهبهم التي تفرقت بهم ، وتغلبت على قلوبهم وعقولهم ، وأنستهم أنفسهم ، فقاموا بالثورات العارمة . فأسهم المصريون في أول ثورة كبيرة عانتها الخلافة الاسلامية ، وتركت فيها أعظم الآثار ، بل الآثار التي لا تزال عقابيلها توجد الى يومنا هذا . فالمصريون لم ينقطعوا عن أبناء عموماتهم وأخوتهم في شرقهم ، ولم ينزلوا عنهم ، بل كانوا مرتبطين بهم بأوثق الروابط . ولذلك كان نصيبهم في ثورة عثمان من أبرز الانصباء ان لم يكن أبرزها على الاطلاق . ويكفي أنهم نصبوا الرجل الذي كانوا يدعون اليه : علي بن أبي طالب ، خليفة على المسلمين ، على حين لم يستطيع شركاؤهم من أهل البصرة والكوفة أن يفوزوا بذلك لمن دعوا اليهم . واستمرت الحصومة والمعارك بين العلويين والعثمانيين في مصر أمدا ، الى أن رجحت كفة الأخيرين بعد أن حاز الأمويون الخلافة .

تم قام بنو أمية من المصريين بثورة جارفة فى العهد
العباسى ، قوضت دعائم هذا الحكم فى مصر ، وكادت
تكتسحه ، وتقيم فى مصر خلافة أموية شبيهة بخلافة
الأندلس . الا أن قرب مصر من العراق أضر بثورتها .
وبعد الأندلسى عن مركز العباسيين يسر للأندلسيين أن
يقيموا خلافتهم ويهيثوا لها وسائل الحياة أمدًا طويلا .
وتمدنا المصادر التاريخية بأخبار عن الزبيريين
والعباسيين والخوارج ، غير أن هذه الاخبار تدل على ضعف
الاولين ، وعلى جهل المؤرخين بالخوارج من المصريين لانعزالهم
فى بقاع بعيدة تكاد تنقطع صلتها بالفسطاط . وبالرغم
من ذلك ، نستطيع أن نستأنس معتمدين على هذه الاخبار
القليلة أن الخوارج أقاموا حكما مستقلا فى الواحات المصرية
لا ندرى أطلال عمره أم قصر .

وانقضى القرن الهجرى الاول دون أن يقوم المصريون
بثورات لأسباب محلية . ولكن ما ان يبتدىء القرن الثانى
حتى تتوالى الثورات الاقتصادية الاسباب : قام بها
القبط وحدهم آونة ، والمسلمون وحدهم أخرى ، والجماعتان
معا كثيرا . والحق أن ما تدره مصر على عاصمة الخلافة كان
آخذا فى التناقض الدائم ، فبعدما كان الذى جباه عمرو بن
العاص من مصر ١٢ مليون دينار ، بلغ ما كان يجبى منها
فى أيام هارون الرشيد أربعة ملايين دينار ثم بلغ حوالى
ثلاثة ملايين . وأراد بعض الخلفاء أو عمال الخراج تلافى هذا

النقص ، فاحتال حيلة مختلفة ، أثارت مكان السخط
من المصريين ، فكانت منهم ثورات ، منها العاتى الجارف ،
ومنها الصغير المحلى .

وانقضى القرن الهجرى الثانى أو كاد ، واذا بمصر
ترى ثورات أخرى ذات لون خاص بها . ثورات يقوم بها
أفراد ، لعبت برؤوسهم ثروة مصر ومكانتها ، فأخذ منهم
الطموح كل مأخذ . فسلكوا كل سبيل لبسط نفوذهم
على مصر ، وتأمين هذا النفوذ لأولادهم ، وسلخ مصر عن
بقية أقطار الخلافة العباسية . فعل ذلك السرى بن الحكم ،
وعبد العزيز بن الوزير الجروى أولا ، وكان نجاحهما
محدودا . ثم فعله أحمد بن طولون ثم محمد بن طغج
الخشيد ، ولقيا من النجاح ما أنسى الأولين ، وطرحهما
فى ظلام النسيان والجهل . ولم ترض بغداد عن هذا
الانسلاخ ، ولكنها تربصت به الدوائر ، حتى وجدت غرة
وضعا من القائمين بأمور مصر ، فبعثت الجيوش فى أثر
الجيوش ، وتمكنت فى كل مرة من إسقاط الدولة القائمة ،
والعودة بمصر الى مكانها من الخلافة .

كل هذه الألوان من الثورات قام بمصر فى القرون
الثلاثة الاولى من الهجرة ، وخضب صفحات تاريخ هذه
الحقبة بالدم الزكى ، الشاهد على تسرع وخطأ من يحكم
بهدوء الأحوال فى مصر فى تلك الآونة المفعمة بالاحداث فى
العراق ، فالمصادر القليلة التى وقعت فى أيدينا من الكتب

الخاصة بالتاريخ المصرى تنقض هذا الراى المعتمد على مصادر التاريخ الاسلامى العامة أو مصادر التاريخ البغدادى الخاصة .

وأدت بنا الصفحات السابقة الى تبين أن المصريين لم يقصروا جهودهم على لون معين من المقاومة . فقد كانوا ينصحون ثم يمتنعون عن التعاون ثم يتناولون الامر المكروه أو الوالى غير المرضى باللسان . فان لم يجد ذلك كله لجئوا الى الثورة .

ولعل أهم ما تبرزه هذه الصفحات أن ألوان المقاومة التى عرفها المشارقة ، عرفها المصريون أيضا ، وأن أسباب المقاومة التى بزغت فى المشرق ، بزغت فى مصر أيضا ، فالتاريخ المصرى الاسلامى جزء من التاريخ العربى العام، لا ينفصل منه ، ولا يتميز عنه ، بعدت مصر أو قربت عن حاضرة الخلافة .

واذن ، فمصر لم تنعزل عن بقية أقطار العروبة أبدا .

الثورات الشعبية في مصر الاسلامية

٧	الباب الأول : الثورات الحمراء
٨	الفصل الاول : ثورات العلويين
٢٩	الفصل الثاني : ثورات الأمويين
٣٧	الفصل الثالث : ثورات الخوارج
٤٤	الفصل الرابع : الثورات الاقتصادية
٥٨	الفصل الخامس : الثورات القبطية
٧٢	الفصل السادس : الثورات المجهولة الاسباب
٧٨	الباب الثاني : المقاومة البيضاء
٨٠	الفصل الاول : الامتناع عن التعاون
٨٩	الفصل الثاني : المقاومة القولية

إشارات

* د. حسين نصار .

* تخرج في كلية الآداب في جامعة القاهرة ١٩٤٧ / حصل على الدكتوراه في جامعة القاهرة ١٩٥٣ / زار السودان وسوريا ولبنان والسعودية والكويت وتونس والأردن من البلاد العربية، وإيطاليا وإسبانيا / حقق عدة دواوين من الشعر العربي والمصري.

* من مؤلفاته :

- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي / مصر العربية / المعجم العربي .

قائمة إصدارات

مكتبة الدراسات الشعبية

(صدر العدد الأول في يناير من عام ١٩٩٦)

- ٢٠ - الفن الإلهي محمد فهمي عبد اللطيف
- ٢١ - النيل في الأدب الشعبي د. نعمات أحمد فؤاد
- ٢٢ - الفولكلور في العهد القديم ج١ تأليف : جيمس فريزر
ترجمة : د. نبيلة ابراهيم
- ٢٣ - الفولكلور في العهد القديم ج٢ تأليف : جيمس فريزر
ترجمة : د. نبيلة ابراهيم
- ٢٤ - الفولكلور في العهد القديم ج٣ تأليف : جيمس فريزر
ترجمة : د. نبيلة ابراهيم
- ٢٥ - حكاية اليهود تأليف : زكريا الحجاوي
- ٢٦ - عجائب الهند تقديم يوسف الشاروني
- ٢٧ - حكاية اليهود ط ٢ زكريا الحجاوي
- ٢٨ - الحلى د. عبد الرحمن زكي
- ٢٩ - أبو زيد الهلالي محمد فهمي عبد اللطيف
- ٣٠ - السيد البدوي ودولة الدراويش محمد فهمي عبد اللطيف
- ٣١ - التاريخ والسير د. حسين فوزي النجار
- ٣٢ - خيال الظل د. ابراهيم حمادة
- ٣٣ - فرق الرقص الشعبي في مصر عبير السيد
- ٣٤ - مباحث في الفولكلور محمد لطفى جمعة
- ٣٥ - نجيب الريحاني عثمان العتبلي

- ٣٦ - عالم الحكايات الشعبية فوزى العنتيل
- ٣٧ - الزخارف الشعبية على مقابر الهو محمود السطوحى
- ٣٨ - الفولكلور ما هو ؟ فوزى العنتيل
- ٣٩ - سيرة الملك سيف بن ذى يزن المجلد الأول
- ٤٠ - سيرة الملك سيف بن ذى يزن المجلد الثانى
- ٤١ - سيرة الملك سيف بن ذى يزن المجلد الثالث
- ٤٢ - سيرة الملك سيف بن ذى يزن المجلد الرابع
- ٤٣ - سيم العشق والعشاق أحمد حسين الطماوى
- ٤٤ - كتابات فى الفن الشعبى حسن سليمان
- ٤٥ - المأثورات الشفاهية تأليف : يان فانسينا
ترجمة : د. أحمد مرسى
- ٤٦ - بين الفولكلور والثقافة الشعبية فوزى العنتيل
- ٤٧ - الشعر البدوى فى مصر - ج ١ د. صلاح الراوى
- ٤٨ - الشعر البدوى فى مصر - ج ٢ د. صلاح الراوى
- ٤٩ - الطفل فى التراث الشعبى د. لطفى حسين سليم
- ٥٠ - تغريبة الخفاجى عامر العراقى باسم حمودى
- ٥١ - الفولكلور.. قضايا وتاريخه تأليف : يورى سوكونوف
ترجمة : حلمى شعراوى - عبد الحميد حواس
- ٥٢ - الأسطورة والإسرائيليات د. لطفى سليم
- ٥٣ - البطل فى الوجدان الشعبى محمد جبريل
- ٥٤ - الاحتفالات الدينية فى الواحات د. شوقى حبيب
- ٥٥ - الاحتفالات الأسرية فى الواحات د. شوقى حبيب
- ٥٦ - من أغانى الحياة فى الجبل الأخضر د. هانى السيسى
- ٥٧ - النبوءة أو قدر البطل
- فى السيرة الشعبية العربية ... د. أحمد شمس الدين الحجاجى
- ٥٨ - من أساطير الخلق والزمن صفوت كمال
- ٥٩ - بطولة عنتره بين سيرته وشعره ... د. محمد أبو الفتوح العفيفى

- ٦٠- جحا العربى وانتشاره فى العالم..... كاظم سعد الدين
٦١- الزير سالم فى التاريخ والأدب العربى..... د. لطفى حسين سليم
٦٢- على الزبيق..... فاروق خورشيد
٦٣- ملاعيب على الزبيق..... فاروق خورشيد
٦٤- الشعر الشعبى العربى..... د. حسين نصار
٦٥- لعب عيال..... درويش الأسىوطى
٦٦- الأسطورة فجر الإبداع..... د. كارم محمود
٦٧- الزجل فى الأندلس..... د. عبد العزيز الأهوانى
٦٨- الأغنية الفولكلورية للمرأة المصرية عند الجعافرة..... محمود فضل
٦٩- من من أهازيج المهدي..... درويش الأسىوطى
٧٠- الثورات الشعبىة فى مصر الإسلامىة..... د. حسين نصار

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١٦٩٧٠

الثورات الشعبية في مصر الإسلامية

هذا الكتاب يعتمد بالدرجة الأولى والأخيرة على التجميع، وقيمته العلمية تكمن في التزام جانب الصدق والأمانة في التجميع مع تقديم القليل من الشروح المسدئية الأولية، لا يزعم ولا يدعى شيئاً أكثر مما قدمه بالفعل. وقد أعجبنى أن الباحث كان حريصاً على إثبات اختلاف الصيغ في النص الواحد باختلاف طبيعة التجمعات الإنسانية التي تتأثر بالأشياء وتؤثر فيها بدورها، فمن هذه الاختلافات البيئية يتكون النص الفولكلوري ويكتسب ثراءه وزخمه من بيئة لأخرى حتى يتكامل بمساهمات الفعلية الجماعية، نحن في هذا الكتاب في حديقة من الأغنيات الشعبية يبرز من خلالها تأثير التقاليد العربية الأصيلة.

Bibliotheca Alexandrina



0416346